صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

دمشق ـ ص٠ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

كانون الثاني

١٩٧٨

وفـــاء للرجــــال

ومرة أخرى يقف رجالات الفكر في حماة ليكرموا علماً من أعلام الفكر ، وليبرهنوا أن للمخلصين الأوفياء للغتهم وأدبهم نصيباً في حياتهم من التكريم لا بد أن ينالوه ، وواجباً على المنصفين عليهم أن يقدموه اعترافاً ووفاء ٠

ومجلة « الثقافة » في هذا العدد ترصد هذه الظـاهرة الكريمة لرجالات حمـاة وتحت رعايـة السيد المحافظ منير بريخان الذي رعى الحفل لتكريم الشاعر الكبير والمربي الغيور عمر يحيى الانسان الذي أنفق من عمره نصف قرن ونيفاً في خدمة أبناء وطنه في مجالات العلم واللغة والوطنية بصمت ، صمت المجاهدين الأبرار ممن لا يطلبون على أداء واجبهم جزاء ولا شكورا ، يشهد له بذلك عارفوه ومقدرو فضله وتلاميذه الذين عرفوا فيه المربي والأب والأخ والصديق ٠

وللشاعر الكبير الاستاذ عمر يحيى تحية أسرة « الثقافة » اعترافاً بفضله وأدبه ، وجهاده ووطنيته ٠ ولرجال الفكر ممن أسهموا في تكريم هذا الانسان الكبير الشـكر والتقـدير ، والاعتراف بفضل تحفظه لهم الأجيال ٠

رئيس التحرير





راعي الاحتفال ، سيادة محافظ حماه ، ايها الحفل الكريم ..

هذا يوم من ايام الوفاء ، في تاريخ هذه المدينة . وكل أيامها وفاء . اليوم ، تجتمع مدينة حماه ، ممثلة بنخبة ابنائها ، لتعرب عن تكريمها وتقديرها ، لرجل من ابرز رجالاتها ذوي الاعمال المحمودة ، والايادي المشهودة . رجل سبق بالفضل ، وتحلى بالعلم ، وشفع العلم بالعمل ، وجلى في ميادين الادب ، وخدم العربية لغتنا المشرفة ، ورفع لواء الاصالة ، وحاط بعنايته التراث ، ونذر نفسه لتربية الاجيال وتزويدهم بالمعرفة وتسليحهم بالوعي ، وتحصينهم بالاخلاق ... ذلكم الرجل الذي نحتفي به اليوم هو الاستاذ الكبير عمر يحيى !

رائد من رادة النهضة ، وبان من بناة صرح العلم ، ومجاهد صامت ، ضحى بالنفس والنفيس لاقالة هذه الامة من مهاوي الجهل وعثرات التخلف ، ومرب قدير تعترف بفضله الاجيال وتزهو بتربيته الرجال .. ذلكم هو الرجل الذي نحتفي به اليوم ، انه استاذ الاساتذة ، عمر يحيى !

اذا كان من الواجب تنظيم رجال العمران والاقتصاد والازدهار المادي فمن الاولى تعظيم بناة الانسان ، لانه به يتم العمران وينهض الاقتصاد وتقوى الامة وبدونه لا يتم اي شيء . بدون مواطن صالح لا تقوم للامة قائمة . وفي مقدمة بناة الانسان العربي في هذا القطر يعد الرجل الذي نحتفل اليوم بتكريمه ، الاستاذ عمر يحيى ..!

ان حماه لتفخر بهذا الفرع الزكي الكريم ، الذي انبتته ورعته حتى صار فارسا من فرسان البيان ، وجهبذا من جهابذة اللغة وعلما من اعلام التربية ، خدم وطنه بكل ما يملك الانسان من الشرف والاخلاص ، وكل ما يتصف به العاشق المتصوف من الحب والبذل ، معرضا عن بوارق المكاسب ، وحطام المغانم ، لا هم له سوى ان يرى اعلام أمته ترفرف في اجواء الكرامة والمجد .

حين نكرم الاستاذ عمر يحيى وامثاله نعلن اننا كنا وما نزال مع الفضيلة ، مع الخير ، مع العطاء ، مع البناء ، مع التضحية ، مع كل من يرسخ هذه المبادىء ويجسدها في نفسه وسلوكه ، في وقت يتعرض فيه الكيان العربي لأشد الزلازل ويتعرض فيه الشرف القومي لاصعب المحن وأشرس التحديات .

تكريم الانسان بعد وفاته ، هذا من الوفاء الحسن . وأحسن منه تكريم المرء في حياته . لان رفع جديلة الغار على هامة مظفر خير وامجد من طرح اكليل الزهور على ضريح فقيد .

ومن هنا كانت هذه السنة الحسنة التي سارت عليها حماة في تكريم أبنائها البررة الذين سلفت لهم فيها الحسنى . وللذين أحسنوا الحسنى وزيادة . وسيبقى هذا دأب مدينة حماة مدى الحياة في تكريم رجالها المخلصين .

ايها الاخوة :

ما ان بزغت فكرة تكريم الاستاذ عمر يحيى لدى نفر من اوساط الثقافة والتربية حتى لقيت استحسانا لدى كل من سمع بها ، ولما عرضت الفكرة على السيد محافظ حماه الاستاذ منير بريخان تقبلها قبولا حسنا وشجعها واعطاها منه كل اسباب التحقيق والنجاح . وتفضل برعاية هذا الاحتفال بنفسه . ولا غرابة فقد عهدناه يسعى لتحقيق كل ما تصبو اليه هذه المحافظة من كريم الرغاب ، فضلا عن انه كان تلميذا نجب وتربى وتعلم على يدي الاستاذ عمر يحيى في عداد الآلاف المؤلفة من أبناء هذا الجيل وفيهم الكثيرون ممن نبغوا في مختلف مجالات الحياة .

ها ان براعمك يا عمر قد استحالت اغصانا نضيرة، وأصبحت بفضل كلماتك الطيبة أيكا بهيجا تتفيأ ظلاله، ويؤدي ثمره كل حين ولك اليوم ان تهنأ بنفحات عطرة منه يحمل لك فيها كل الاكبار والمحبة والاجلال .



رحلة عمر

المحامي

وليد قنباز



ايها السادة ...

ما أجمل أن نمتطي معا زورقا حالما ونَدَع الاشرعة الحريرية تعانق الانسام لننساب في خضم الزمان ونقبس من ثوانيه ودقائقه لقطات ونثرات هي في مجموعها شيء من رحلة عمر لا أحلى ولا أشهى ولا أغنى ...

وها نحن أولاء مع نهايات القرن التاسع عشر والعالم العربي يستفيق من نوم عميق وكابوس ثقيل ، ويحاول أن يتبين طريقه ضمن دياجير لا عد لها ولا حصر ، ويرسم هدفه من خلال عادات وتقاليد وأحكام قلقة ومضطربة .. وها نحن أولاء في مدينة أبي الفداء نبارك زواج الشيخ العالم يحيى الفرجي من فتاة من آل شاكر

ونرى في الشيخ صورة مثلى للتبحر في العلوم الاسلامية والاستقلال في الاستدلال لها ولسعة الثراء من كنوزها الى رصيد كبير من الورع والاستقامة وحب الادب ومعاناته شعرا ونثرا .. ونرى في الام صورة خالصة من الفضل والتقوى والصلاح ...

ونقف بزورقنا على شاطىء العاصي نذرف الدمع ونحن نرى أولاد الشيخ يحيى يموتون ولما يتجاوزوا السنين الاولى من العمر ، محاولين تخفيف المصاب

وبعث الامل الى أن كان عام ١٩٠١ حين أرسلت الشمس خيوطها الاولى لتلتقي مع وادي العاصي بخضرته ومياهه ونواعيره وتهبه النور والحياة حيث أطل على دنيا الشيخ يحيى مولود أسماه «عمر» تيمنا بالفاروق عمر بن الخطاب وتبارك به ووهبه مع الام كل الحنان والسعادة والحب .. والحياة .. نعم وهباه الحياة فها نحن أولاء نرى الاب يودع الدنيا وعمر في الثالثة من عمره ، ولم تجف الدموع بعد .. حتى تودع الام الدنيا بعد شهرين فقط من رحيل الاب .. وها هو ذا عمر يتيم ضائع محروم من الحنان والرعاية والمودة

لا يتذكر من أبويه صورة أو كلمة أو لفتة ، وها نحن أولاء نرى ابن عمته السيد نعمان الاسعد الكيلاني يعتني به ويحتضنه ، وكان من العلماء البارعين في الفقه والنحو والفرائض ويعجبنا أنه أخذه بالشدة وهو لما يتجاوز السابعة من عمره ، فاذا به يحفظ القرآن الكريم

والاجرومية في النحو والرحبية في الفرائض وقسماكبيرا من ألفية ابن مالك ... وها هـو ذا يكنى باسم والـده ويطلق عليه الناس اسم عمر بن الشيخ يحيى ، ويرجون أن يروا فيه صورة أبيه ... وها هو ذا يقبل على القراءة بنهم وشره عجيبين ، ويجد في قصص ألف ليلة وليلة وحمزة البهلوان وذات الهمة والملك سيف معينا عذبا لا ينضب فيميل اليهـا الميل كلـه ويعيـد قراءتها أكثر مـن مرة ...

وتمر الايام ، ونلمح عمر في جامع الشيخ ابراهيم وهو يقرأ الالفية ويستظهرها ونبصر العالم الاديب الشيخ أحمد الدرويش يقبل عليه ويرى ما يفعل .. فيقول له: أما كان من الاجدى لك حفظ ديوان الحماسة وعيـون الشعر العربي فتستفيد أدبا وقوة ... ونتطلع الى عمر فيبدو وكأنه كان نائما واستيقظ أو مغلولا فنشط مـن عقاله .. فاذا به يقبـل على الحماسة وكتب الادب بكل ما عنده من نهم وشره عجيبين للقراءة ما يزالان يلازمانه حتى الساعة .. فيرى دنيا جديدة وآفاقا لـم يعهدها من قبـل ...

وتتسارع الايام ويدخل مدرسة اعدادي حمـاه ، ويرى الى جواره في المقعد طفلين نابهين لطيفين الاول هو شاعر العاصي بدر الدين الحامد والثاني هـو القاضي الفاضل الشاعر ابراهيم العظم ... وتتناهى الى سمعه الدروس باللغة التركية ويرى نفسه مجبرا على حفظها ولكن اللغة العربية ما لبثت أن عادت الى دنيا التربيـة والتعليم وكان للمؤتمر السوري يد في ذلك .

ويتابع عمر النهل والعب من موارد العلم والثقافـة ويعجب أيما اعجاب باثنين من المدرسين هما الشيخ علي الـدلال والدكتور صالـح قنباز فيصبح أسيرا لهمـا ولعطائهما وشخصيتهما .. فيهباه محض المودة والعناية والارشاد ، وأما زميلاه عمر وابراهيم فقد أخذا واخذ معهما في قرزمة الشعر ، ولعل أحلى أوقاتهم ساعة يسمع كل منهم الآخرين ما نظم وما فاضت به قريحته ...

وينتقل الاصدقاء الى القسم الثانوي ، ويشتد عودهم ويصلب ، واذا بنا نرى الرياح تحمل عمـر مع نفر مـن زملائه نعرف منهم قـدري العمر وعثمان الحوراني الى الكلية الصلاحية في القدس ، فنرخي لها الاشرعة لتحملنا الى فلسطين والى كليتها الكبرى التي تضم بين جنباتها أكابر المدرسين والعلماء والمصلحين ونتعرف اليهم فاذا نحن أمام هيئة أكاديمية يندر أن يجود الزمان بمثلها .. فهذا محمد رستم حيدر للتاريخ والشيخ موسى البديري للفرائض والشيخ أمين سويد للحديث والتفسير والمصطلح والشيخ أمين العوري للفقـه الحنفي والمنطق وجـودة الهاشمي للرياضيات ووهبي الوفائي للطبيعيات والشيخ عبد الرحمن سلام والشيخ بدر الدين النعساني واسعاف النشاشيبي للغة العربية والادب العربي ...

أي جو هذا وأي ميـدان وأي نبع دفـاق ...؟! ها هو ذا عمر يقبل عليها جميعا على انه اخـذ يغرق في أفق اسعاف النشاشيبي حتى أذنيـه .. فالفصاحـة واللسن والبيان واللهجة وقوة الحافظة التي وعت كتب الادب الاربعة ومثيلاتها ، وجودة الاختيار للنصوص التي كانت تشكل أروع رصيد في دفاتر الطلبة ... هـذه جميعا لا بـد أن تضعه في سويـداء قلوب الطلبـة وفي مقدمتهم عمـر ...

وتمر الايـام وعمـر يـدرس العربيـة والفرنسية والفارسية ، ونقترب من زميله الاديب قـدري العمر لنسأله عن عمر .. فيجيب بسرعة :

« اذا دق الجرس كان عمر أول الصامتين وأبعدهم عن الزحام وأقلهم كلاما واسرعهم انتظاما في النظام » ..

وقد اشتهيت أن يصير الى غرفة الجزاء أو غرفـة الحرمان ، ولكن دون جدوى .. فهو جد وعمل وصمت يكاد يكون دائما ..» .

ويستمر عمر ورفاقه على هـذا الى قبيل دخـول الجيش العربي القـدس ... وهـا هي ذي الحكومـة العثمانية تنقله مع اخوته سيرا على الاقـدام الى نابلس ومنها بعد اسبوع الى دمشق ليمكثوا فيها شهرين ، ثم يرسل كل منهم الى بلده .

ولقد كانت هذه السنوات الثـلاث التي قضاها في القدس بوتقـة صهرت نفسه وروحـه وجعلت لقضية فلسطين أثرا كبيرا ومبكرا في شعره ونثره معا .

ويقيم في حماه مدة ليرى طلائع الجيش العربي وهي تدخل المدينة ، ثـم يصفق للحكومة العربيـة مستبشرا خيرا .. وتعمل هـذه الحكومة على تعيين مفتي حمـاه وعالمها الكبير الشيخ سعيد النعساني مفتشا في المعارف والذي يعمل بدوره على تعيين عمر معلما .. ويبقى على هذه الحال الى أن يحضر الاستاذ ساطع الحصري المسؤول الاول عن المعارف فيجري له فحصا خطيا ووجاهيا كان فيهما الاول ... فيثبت معلما في المعارف .

ونتطلع حولنا فنرى هذه البديهة ملاوة من شباب وشعورا يجيش بالامل بوجود دولة عربية مستقلة وأمنيات باستمرار هذه الدولة الفتية ، ونرى أن تلك الومضـة لم تلبث أن انطفأت فلقد غلب مكر المكرة وخيانة الخونة فكان الوقع في النفوس شديدا ، وكانت ميسلون فاجعة الفواجع ، فاذا بعمر وزملائه يعودون الى دنيا الجهـاد والنضـال التي رضعوا لبانهـا في الكلية الصلاحيـة ، وينتسبون الى النادي الادبي ، ويشرع عمر في ردهة هذا النادي باشراف مديره الدكتور صالح ومعاونه الدكتور توفيق الشيشكلي .

ويقبل عام ١٩٢٤ وعمر يعلم في مدرسة برهان الترقي وما تكاد السنة تنتهي حتى نجده مع اثنين من رفاقـه وهما بدر الدين الحامد وزاكي الزيتاوي قد أصبحوا محل نقمة المسؤولين في حماة .. فتصدر الاوامر بنقلهم الى كل بلد ..

ويرفض عمر الذهاب الى دير عطية، ويسمع الدكتور صالح بذلك فيطلبه للعمل في مدرسة دار العلم والتربية وهي المدرسة الوحيدة التي كان لها وزنها في ذلك الوقت في توجيه الطلاب توجيها وطنيا ، وكانت محـل نقمـة المستعمرين ، فيقبل عمر من فوره هذا الطلب على الرغم من أن وزير المعارف قد غير لـه مكان انتقاله الى حمص وفي دار العلم والتربية تبدأ فترة خصيبة في حيـاة عمر فكم كانت تقام الحفلات الرائعة في قاعتها الاثرية وباحتها الجميلة الواسعة .. وهي تلتهب وطنية وحماسة .. وفي نهاية شهر ايلول من عام ١٩٢٥ يزور حماة الاديب البحاثة المشهور أحمد زكي باشا والدكتور محجوب ثابت وتقيم لهما المدرسة حفلة عامرة ، وهاهـو ذا عمر يعتلي المنبر مرحبا بالضيف الكبيـر ومشيرا الى حبـه ملك حمـاة اسماعيل أبا الفداء ومعرضا بالحالة الصعبة التي كانت تعانيها البلاد :

أمحب اسماعيل .. انك لـو ترى
هـذي الربـوع ولم تعان كروبـا
أيـام يرهبهـا الدخيل والبست
حلـل المفاخـر مـن بني أيوبـا
فترى صلاح الدين فـوق حصانه
يزجي الى جيش الخطوب خطوبـا
وأبـو الفـداء بعزمـه ويراعـه
خـط المفاخر واستفز شعوبـا
هـذا حبيبك مـا يـزال بعزلـة
ملقى على هـام الطريق جنيبـا
وحمـاة غادتـه غـدت مسلوبة
تمشي البراح وعرضهـا موهوبـا

ويقبل تشرين ، شهر الحزن والاسى ، اذ تخفـق ثورة حماة ، ويقتل زعيمها الدكتور صالـح ، وتنبعث من عمر وزملائه رنات الحزن وزفرات الاسى تترى مـع كل ذكرى وكل مناسبة .

ويبقى عمر في حمـاة وفي دار العلم مديرا ومعلمـا للعربية والفرنسية والطبيعة والرياضيات ، ويشـرع في نشر الشعر الرومانسي الذي يفيض بالحزن والحرمـان والشجو في مجـلات العالـم العربي كالميزان والكشاف والزهراء والحديث .. ونلمح فيه صـورا مما عانتـه البلاد وتعانيه من ذل الاحتلال وجور المستعمر ، وكـم كان يبتهل المناسبات الدينية والقومية ليظهر موقفه من قضية قومه ويثير عاطفة الحماسة داعيا الى المغامـرة والاقدام بعزيمة لا تلين .. ويأخذ في العمل مع اخوانـه ضد الفرنسيين تحت قيادة الدكتور توفيق الشيشكلي، وكثيرا ما كانوا يعقدون الاجتماعات في غرفته في دار العلم والتربيـة ..

ويقبل عام ١٩٣٠ وينتقل فيه عمر وننتقل معه الى البحرين بطلب من الاستاذ ساطع الحصري الـذي كان في ذلك الوقت رئيسا للمعارف العراقية ، وكان رفيقه المجاهد عثمان الحوراني قد سبقه اليها ، ويقيم هنـاك

ستة أشهر الى أن تضطر السلطة الانكليزية الى اخراجه وعثمان ليلا منفيين بتهمة تنبيه الافكار وعرض حقيقة الانكليز ودسائسهم ، ولانهما رفضا الموافقة على المنهج الذي كانت السلطة تحاول تطبيقه في البحرين ولما رأت من مظاهرات لا عهد لها بها ... وننشر الاشرعة من جديد لنرافقهما الى عمان ونرى معهما البؤس والفقر والشقاء ونبحر بعد اسبوعين الى الهند مبتعدين عن شواطىء البحرين ، ونسمع عمر يصعد في الاجواء زفرة حرى..!

قالوا الى الهند المسير ، فأنتم
غرباء في البحرين لا أرحامها
مرحى .. وأما الانكليز فانهم
أهل البلاد وأهلها أيتامها
الواغلون الشاربون دماءها
الغاصبون لها وهم هدامها
والارض ان نام الحماة يكون من
حظ الذئاب العاسلات سوامها

ونستقر في الهند شهرا ونيفا ، ونقرأ مع عمر وعثمان ما في الهند .. البلد العظيم من بؤس ومن تخلف ، وبخاصة حين نرى عمر يتخطى في شوارع بومباي .. العاصمة الثانية ليلا النائمين على الارصفة :

لست في باريز .. باريز لمن
يألف الحب ويهوى المترفين
أنا في الهند .. أرى الشرق وما
في حناياه من الداء الدفين
ضاق صدر الشرق عن أبنائه
وحوى من قادة الغرب مئين
ولكم تضحك لما أن ترى
بقرا ترعى وأقواما تهون
ولكم تشكو اذا شاهدت في
ساحة الهند جموع البائسين

ونصل مع عمر وعثمان الى العراق ونقيم في بغداد قرابة ثلاثة أشهر ينشر خلالها عمر كثيرا من قصائده ومقالاته وما كان يترجمه عن الفرنسية شعرا ونثرا .. ثم تستقبلهما دمشق .. ومنها الى حماة .. والى دار العلم والتربية من جديد .

وها هو ذا عام ١٩٣٤ ينشر أجنحته على الكون ... وهاهي ذي أنطاكية تستقبل عمر ونحن نهلل له ملوحين بالايدي وهو يدخل لؤلؤة اللواء السليب ونقيم معه عامين نشهد فيهما مأساة اللواء وما كان يحاك هناك ، ونرى أن من أرسلوا من سورية للدفاع عنه يحتفظون بالاموال في جيوبهم ... ونلمح عمر يفضح معركة اللواء التي دفعتها الخيانة الى حافة الهاوية ، ويتصل بطلابه الاوفياء ليعرفوا من خلال كلماته وآلامه كل شيء ...

بكوا فقد اللواء لنا رياء
وهم باعوا اللواء وضيعوه

أضاعوه لكي تبقى الكراسي
فيا لدم يضيعه ذووه

أفيقوا .. ان يمت فلسوف يأتي
زمان فيه يتلوه أخوه

ثم لا نلبث أن ننتقل الى حلب ، وندخل مع عمر ثانوية المأمون وثانوية معاوية للبنات وهما أكبر مدرستين في شمال سورية يؤمهما الطلاب من حماة واللاذقية ودير الزور والرقة وادلب وغيرها .. ونستمع الى دروس الادب العربي العبقة بالذوق وحسن الاختيار وجودة المناقشة والاستنتاج ووفرة الاطلاع .. فلقد قرأ عمر واستفاد ، وها هو ذا يقرىء ويفيد ، وها هي ذي أفواج الطلبة تتخرج عليه طبقات ممتازة في الروح الادبية والتحقيق العلمي والفكر العميق وقد أفاض عليها من روحه وأسلوبه حياة وجدة ، وأشاع فيها مائية ورونقا ... وفي تلك الفترة أصدر الجزء الاول من ديوانه وأسماه « البراعم » وقد ضمنه مختارات من شعره الوطني والوجداني ...

ونمكث في حلب .. طويلا .. طويلا ونشهد مع عمر وقائع الفرنسيين مع الطلاب ، ونرى الشهداء يسقطون أمامنا ، وتتناهى صرخات الشاعر في جموع الطلبة الغاضبين فيناجي عينه :

ان فاتك الدمع فلن تجمدي
لي كبد حرى ستبكي معي

خمسا وعشرين شهدنا بها
صحائف الفتك ولم نخضع

في ذمة التاريخ جاري دم
أبى على الذل فلم يصدع

وفي سبيل الله يا من هوى
وما نأى بعد عن المطلع

زمله الغدر بأثوابه
شلت يمين الظلم من أشنع

ونبصر حولنا فنرى حركات النضال ، ومعارك حلب وحماة في سبيل الجلاء .. ونعجب لعمر وجرأته ومواقفه الى أن كان الجلاء ... اليوم الاغر ، واذا به يطلق أغرودته من أعمق أعماقه :

شق جيب الليل عن بيض الاماني
فاخفقي يا رايتي فوق المغاني

بسمة الفجر وألحان الضحى
ونشيد المجد يسمو باتزان

وصلاح الدين في جحفله
عارض الرمح على ظهر الحصان

يلمح التاريخ في مفرقه
بسمة الظافر في الحرب العوان

سقط الباغي على أقدامه
دامي الجرح سقوط الافعوان

ومع عام ١٩٥٠ نعود الى حماة ، لنصغي الى عمر مدرسا للادب العربي ، ومديرا للتربية ، ونبصر فيه خلال سبع سنوات عقلا راجحا لا يخيس وزنه وبصيرة نافذة الى ما وراء المظاهر الغرارة ، وفكرا غواصا على حقائق الاشياء ، وذكاء تشف له الحجب واطلاعا على الامور كبيرها وصغيرها ، واستعدادا قويا متمكنا للتجديد والاصلاح ... وكان لا بد لهذه المزايا والخصال من حاسدين وأعداء ومرجفين ، فكانت المحاولات تترى لعزله ، الى أن نجحت في عام ١٩٥٧ ويعين مديرا لثانوية السيدة عائشة لمدة عام واحد ... وينقل بعدها مديرا للتربية في حمص ، ويبقى فيها الى أن يحال على التقاعد عام ١٩٦٠ ويعود ... ونعود معه الى حماة ، ونمكث فيها مدة ، ثم ننتقل الى حلب لنرى الاب الحاني وهو يرعى أولاده ويعينهم على الدراسة في جامعتها ..

ومع افتتاح كلية الآداب في هذه الجامعة عام ١٩٦٦ كان للمشرفين عليها ، وجلهم من طلبة عمر ومحبيه ، بحث عن الاساتذة الكبار والعلماء الباحثين ، والادباء المتمكنين ... وكان عمر يحيى في مقدمتهم .. ويقبل العمل الجديد ويختار تدريس مادتي النحو والعروض ويسمو ، وتبدو امكاناته وموسوعية ثقافته للطلاب والاساتذة على حد سواء ، ويستمر على ذلك سبع سنوات كاملة دون كلل أو ملل ... وفي تلك الفترة هيأ الكثير من قصائده وجعل لنا عناوين مناسبة ورتبها في ديوان ضخم وفيها من قديم شعره وحديثه وأعده للطبع يعاونه في ذلك الاستاذ الاديب محمود فاخوري ..

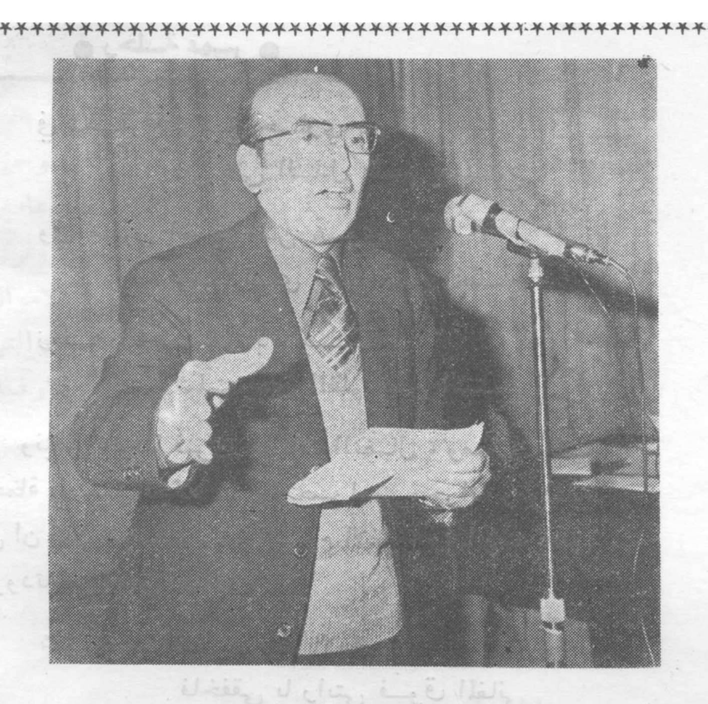
ويقبل عام ١٩٧٣ فنرى أن السنوات السبعين قد أثقلت كاهله ، وأن صحته قد شرعت في التدهور بعد أن بدأت تتعاورها الاسقام ... واذا به يؤثر أن يترك التدريس رغم الحاح المشرفين وترك الاقسام ثلاثة أشهر كاملة تنتظر عودة عمر ولقاءه .. ولكنه لم يعد ... وفاء الى بيته وذكرياته وقد خلف في الميدان آلافا من الطلاب يلهجون بذكره وعلمه وفضله وعطائه .. وأعوامه الثمانية والخمسين التي قضاها في خدمة التربية والتعليم وكان فيها الكاتب الاديب والشاعر الجريء والمعلم الكبير والمناضل الثائر ...

ومنذ شهور تنادت عصبة من أدباء هذه المدينة الى لقاء تمخض عن فكرة اقامة مهرجان تكريم للرجل الكبير ، وحملت الفكرة الى سيادة المحافظ فأيدها مقدما كل الدعم والمساعدة ، ووضع عمر بحيائه وعزلته وانطوائيته أمام الامر الواقع وكان لا بد من الموافقة ... وها نحن أولاء جميعا نسمعك يا أبا طريف همسة الشكر وبسمة العرفان وتحية الاكبار وهي أقل ما يمكن تقديمه بعد رحلة الستة والسبعين عاما آملين أن نقدم لك في الثمانين والتسعين والمائة بعض ما يليق بك ومصعدين من الاعماق دعاءنا بأن يمد الله في عمرك ، ويزيدك من فضله وخيره ويسبغ عليك أردية الصحة والعافية لتبقى قدوة في العاملين وصورة مثلى للرجال المخلصين والوطنيين الصادقين والادباء والشعراء المتفوقين ...

وليد قنباز

طائر الدوح ..يا حماة

نذير الحسامي



كرّميه وطيّبي ألحانه وانشري في ربا الحمى ريحانه
أنت يادار دوحه كرم الدوح يصون الهوى ويكرم شانه
يعرف الطير بين أفيائه الانس ويلقي في جانحيه أمانه
ان نأى طيره يحن اليه فاذا ما دنا شفى تحنانه
بورك الدوح يخفق الحب فيه نم على ظله تجد خفقانه
يورق الشعر والندى في حماه كل شاد لديه ينزل بانه
سكن الطير لم يعف فيه سكناه ولم ينس في النوى سكانه
انه الدوح .. سل (حماة) أكانت في مجال التغريد الا لسانه ؟
سل (حماة) العطاء هل عرف المعروف الا في راحتيها مكانه ؟
مرضع المكرمات أي اباء لم يجد دره بها ولبانه ؟
تتلقى الغياب أما رؤما فهي غمد السيوف وهي الكنانه
جنحت كل طائر في علاها وسقته بكأسها عنفوانه
وانحنت بالفؤاد تهفو للقياه وتكسو من غارها تيجانه
ما تراها ولهى بصداحها الشادي وقد اسكر الحنين جنانه ؟
ها هي الآن في يديها الرياحين تحلي بزهوها مهرجانه

★ ★

شاعر مترف المعاني على الايام ما زال يكتسي ريعانه
مرهف النبشرة الشجية بالشجو اذا ما هفا بصخر ألانه
لم يهجن صرف الزمان لغاه او تغضن يد الليالي بيانه

يسأل القلب : هل نرى أن تغنى بحتري الانشاد أم حسانه
الفصيح البليغ نسج قوافيه فلله ما أدق بنانه
قيل : شيخ القريص قلت : ولكن بز في فسحة المدى فتيانه
كم أدار الرؤوس شوق تولاه وهز الكؤوس وجد أعانه
(النواعير) لم تزل في بكاها تتملى على الاسى ارنانه
تتصبى على النهار هواه وتغنى مع الدجى اشجانه
والبساتين لم تزل في جناها يتشهى ربيعها نيسانه
تتغاوى على فتون معانيه وتزهو به يزف افتتانه
والبساط الذي يمد ويطوى لم يزل باسطا عليه خوانه
قم تر الاقحوان يومىء باللحظ .. وهيهات ما جنى أقحوانه !
يكرم الورد بالتعبد للورد ويأبى على الجمال امتهانه
قم تأمله اذ يسبح للحسن على وجده به .. سبحانه
هل ترى غير طائف مستهام ملك الحسن قلبه حين صانه ؟
أريحي رداؤه الادب السمح ونفس من القذى عريانه
زهر آذار رأسه فاجن يا سامر تفاحه وذق رمانه
سندسي التغريد ان سئل البلبل : اين الذي يؤاخيك ؟ كانه
في امانيه نابغي الليالي هات ياليل واصدحي يالبانه
الزمان المسعور كأس لياليه فمن ذاقه يذق نيرانه
والدوالي جفت على درب دنياه وجافى طير الضحى بستانه
ومضى بالجوى يشرده الليل كما شرد الاسى خلانه
في حواشي الدجى تعربد حانات وتغريه حانة بعد حانه
لم يعرج على صداها ولم يملأ على الغل من خناها دنانه
يتصباه حلم عان بأيك طهرت في حماه حتى المجانه

★ ★

عمري ولست ادري أزان الخلق في شعره أم الخلق زانه ؟
لم يدنس نعليه في حمأ الذل ولم تلو جانحيه استكانه
شمم الشاعر الابي اذا كفت مراميه لم يكفكف عنانه
سيد في عفافه لم يرضه طمع راض في الورى عبدانه !

تتنادى مـن حولـه مهج العـافين جوعـا كأنهـا جبّانـه !!
تترامى عـلى الدنايـا ذبابا جائعا لم يبال طعم النتانـه
هويت في صغارها ما قـلاه لا الهـوى زانهـا ولا المقت شـانه
في زمان تخطفته الدياجـي كاد ينسى فيه الشروق زمانـه !
واذا جاعت المروءة في الصدر فبارك هوانهـا وهوانـه !!
كل جوع في منطق الظن الا ان تجوع المروءة الشبعانـه

★ ★

كرميه يا دار واروي عـلى الروض سجـايا سحابـة هتانـه
شرف منك ان تردي اليها بعضها ٠٠ أنت انت أخت الامانه
أي ورقاء ضمهـا منك جنح لم تذق من جنى الهـوى ألوانـه ؟
قبـل أن يغـرب النهـار بمغنـاك تحيينـه وتجـزين آنـه
بجليـه معلما فجر الحرف واجرى بـين الربـا غـدرانـه
بجليـه ٠٠ يضيء غاشية الجيـل ويذكي بناره وجدانـه
قلديه هواك حمدا جميلا طالما قـلد الحمـى احسانـه
أو ما كان ثاني اثنين في الدوح أقاما لأيكه سلطانـه ؟
اذكري ان ذكرتـه (البدر)(١) واحكي عن أخ ما طوى الدجى لمعانه
فقد الدوح سكرتيه(٢) فيا للدوح يبكي عـلى الهوى كروانـه
فكأنـي أراه يشهد نادينا ويشـدو مسلسلا ألحانـه !
وكأني ألقاه طيفـا من الحب يساقـي أحبابـه أحزانـه

★ ★

ايه يا ايكة بكـل طـريف فيك يجلو (أبو الطـريف) حسـانه
كرمي شاعر الحمى وأقيمـي عرس من كنت حبه وحنانـه
عربي اللسان والقلب والابداع لا عجمة وليس رطانـه
فارس يمتطي المحجـل في القول اذا ما امتطى الدعي أتانـه !
لم ينفره عن سـلاف قديم مدع ما له بشرب لبانـه
أيذم الرحيـق يا معشر الشرب اذا عتق الزمان أوانـه ؟ !
صائـن للبيان عرضا أغارت في حماة خناجر طعانـه !!
مغزل الشعـر في يديهم عصاهـم فتألـوا أن ينسجوا أكفانـه !!

ظلموا الحسن وهـو برهـان حق بجديد لم يعطنا برهانه !
يمسخون القصيد هذرا من القول فمن لاكـه يمج زؤانـه
نقموا السحر والاصالة في الشعر فآلوا أن يكسـروا ميزانه !!
ما وراء البهتان ؟ أستغفر الفصحى أيرمي رام بها بهتانـه ؟!
ما وراء الدخان تحت دجى الليل ؟ أيجلو لنا الضحى كهانه ؟
يا حماة البيان اين أياديكـم ألا تكشفون عنه دخانـه ؟!
نحـن أهل الجديد كل جديد لـم يجد عند غيرنا تبيانـه
أيكاد التاريخ زورا وظلما كيف يعفو التاريخ عمـن أهانـه ؟
صاحبي الشيخ واعبري بالاسـى الدمع ولا تبلغي بـه شطآنه
شمخت روحه وعزت رواسيها فهل يطرق الضنى بنيانه ؟
خشع الحب ٠٠ فالثمي كاهـل المضنـى وزفـي الى العلا ايمانه
عانقي جرحه على جرح أهليه وراعي علـى الاذى ثورانـه
ان تغني هم العروبة زيديـه أليست ديارهـا أوطانـه ؟
واسكبي من شجونهـا في لياليـه وصبي كؤوسها الغصانـه
علـم الجيل كيف ينهـد للذود فمن ذا اعاره خذلانـه ؟
ضامه أن يرى العروبة تسبـى ويدق السابـي لها صلبانـه
وشجاه أن لا يشب لظى الساح حمـيّ جرح السبـي استعانه !
كيف تدمـى علـى الصليب فترمـى هل يكون الصليب صك ادانه ؟
حمحمات ٠٠ ويلجم الغضب الظامي فيرتد لاعنا ارسانـه
أترد الخيل المناجيد باللجم ولا يبلغ الفـدا ميدانـه ؟!
أين برق الصهيـل ؟ أين صلاح الدين هل كسر الزمان سنانه ؟
يا لجرح الاقصى تلفت للثأر فلم يلق حوله فرسانـه !
أتصيح الجراح : يا آسي الحي فيمسي آسي الحمـى بهلوانه ؟!
يا لعار الحق الذبيح أيطوى سيفه قبل ان يرى معمعانه ؟!
وينوش الطغـاة عرضـا مدمى يسـأل الله أن يـرى شـجعانه ؟!
يا لظى الكبرياء شقي الدياجي لا تقولي : هبت رياح الخيانه !!

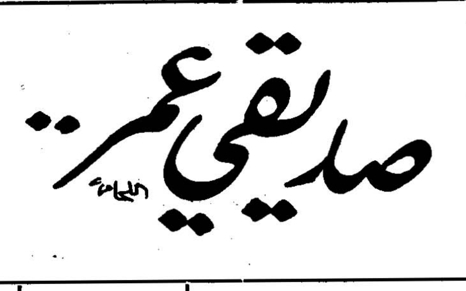
دمشق ـ نذير الحسامي

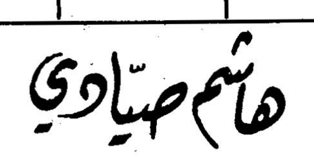
---

١ ـ شاعر العاصي المرحوم بدر الدين الحامد

٢ ـ اشارة الى قول الشاعر الراحل من قصيدة :

أنا في سكرين   من خمر وعـين







سيداتي ، سادتي ايها الحفل الكريم !

ان الفئة الطيبة التي فكرت في اقامة هذه الحفلة التكريمية ارتأت أن أكون بين المتكلمين وأن ألقي دلوي بين دلائهم باعتبار المحتفى به استاذي وصديقي الحميم فعددت هذا التكليف بالمشاركة شرفا عظيما لي فلبيت طائعا وانا قانع بعجزي أن اكون من فرسان الحلبة وابطال الكلام في مثل هذا الميدان . وحبذا لو أسعفني المنطق واللسان والقلم للتعبير عما يكنه قلبي نحو استاذي الجليل من عواطف جياشة ومحبة صادقة ، واذا ما الشاعر العربي القديم :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما   جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فانه عني أناسا آخرين غيري ، يمتلكون ناصية الكلام ويستطيعون الابانة والتعبير بلسانهم وقلمهم عما يخالج جوانحهم وعما يعتمل في صدورهم وان لساني لعاجز عن أداء رسالته في كشف خفايا قلبي وبث شجونه . وحسبي عزاء انني حاولت وأنني بذلت جهد المقل ليس الا .

ايها الحفل الكريم ايها السيدات والسادة !

درج الناس على الاحتفاء بالفاضلين وكرام القوم من بعد أن يتركوا الدنيا ويودعوا هذه الحياة على حد قول اليازجي الكبير :

لا يحمد القوم الفتى الا متى
مات فيعطى حقه تحت البلى

وان هذا الاحتفاء وهذا التكريم الذي نجتمع كلنا للمشاركة به لهو بدعة حسنة سبق لفئة كريمة ولنفر من مفكري هذا البلد الطيب ، المجلى في ميادين المآثر والمكرمات أن قاموا بمثل هذا الاحتفاء في عام ١٩٥٧ لتكريم سيد العلماء وامام المربين المغفور له الشيخ سعيد النعسان مفتي حماه الاسبق طيب الله ثراه وقاموا أيضا ومن عهد قريب بتكريم الاديب الكبير والشاعر المبدع الملهم الدكتور وجيه البارودي وهاهم أولاء اليوم يصلون الخير بالخير والفضل بالفضل ويدعمون هذه البدعة الحسنة بل الممتازة في تكريم مربي الاجيال وقدوة العلماء الاعلام الاديب الثبت والشاعر الكبير المبدع الاستاذ عمر يحيى فلهذه الفئة الخيرة من أبناء حماه اجر هذه البدعة وأجر من سيعمل بها من العرب الى يوم القيامة .

الاحتفاء أيها السيدات والسادة بالانسان العامل الفاضل في حال حياته ظاهرة نبيلة ان دلت على شيء

فانما تدل على يقظة ضمير الامة وسمو المجتمع وعلى أن الخير بدأ ينفض غبار البلى عن جفنيه وينهض من كبوته ويظهر من جديد على مسرح حياتنا ليلعب دوره البناء في خدمة مجتمعنا العربي وانساننا العربي الجديد ، وقيادة هذا الانسان في الطريق الاقوم للوصول به الى اهدافه السامية ومثله العليا .

فالعلم أيها السيدات والسادة والعمل المجدي والفضيلة كلها مقومات يجب أن تحتل مكانها الاساسي في حياتنا لبناء مجتمع افضل وغد زاخر بالجمال والسعادة الحقيقية ويجب أن يحتفى دائما بأرباب تلك المقومات ممن يحملون شعاراتها وسماتها الصادقة ، من علماء وأدباء ورجال فكر وعمال مخلصين في عملهم ، حتى يكون ذلك مشجعا وحافزا لدعم ركب الحضارة وصقل جوهر الانسان العربي وحتى لا تضيع المروءة من بين ظهرانينا ومن مجتمعنا الجديد، وقد كانت قديما صفة اصيلة بارزة من صفاته وسمة مميزة من سماته فلنبق حريصين جميعا على المروءة تلك الدرة الغالية والجوهرة الثمينة التي تزدان بها لا بغيرها أيامنا في الحاضر والمستقبل ونكون بذلك قد حمينا مجدنا القديم التليد بمجد حديث طريف . وان مجرد التغني بالامجاد السالفة والمآثر الماضية لمعنى فارغ وعملية جوفاء لا تسمن ولا تغني من جوع ولا تخدع الا الحمقى وقاصري العقول ، وان العمل المخلص الدءوب ، ولم شتات المجتمع المتفكك وتمتين أواصر المحبة بين أفراده لما تقر به عيون الآباء والاجداد تحت أطباق الثرى . فلنكرم من يستحق التكريم ، ولنحتف بمن هو جدير بالحفاوة فهذا عمل نبيل وأصيل ، يجب الا يخلو منه مجتمعنا العربي ولنجعل شعارنا في ذلك على الدوام قول شيخ المعرة أبي العلاء :

فلتفعل النفس الجميل لانه خير وأحسن لا لاجل ثوابها

استاذي الجليل أبا طريف ! هذي كرام الناس جاءت تحتفي بجميل ما قدمت احسان أيها الاستاذ الجليل ! ان من لم يسعده الحظ أن يكون تلميذك على مقاعد الدرس فيمكن ان يعتبر نفسه تلميذا لك من خلال تذوقه ادبك الرفيع وعلمك الغزير مما نشر لك في الصحف والمجلات المتنوعة عبر السنين والايام الخوالي ، وما سينشر لك في المستقبل ان شاء الله من مخزون علمك وادبك ، وان طلابك الكثيرين الذين متحوا من معنيك ونهلوا من ينبوع فضلك نهلات صافية قاموا بدورهم وهم لا يزالون يقومون بخدمة هذه الامة ورفع شأنها في شتى مجالات الحياة ... ان أياديك البيضاء التي أسديتها لامتك ومجتمعك ولا تزال تسديها عن طريق التعليم وعن طريق مشاركتك الفعالة في معركة العلم والثقافة والتوجيه القومي الصحيح ، كل ذلك لن ينسى وسيبقى خالدا في نفس المخلصين . ولن يحتاج الى كبير عناء للتدليل عليه اذ لا يصح في الافهام شيء اذا احتاج النهار الى دليل على تعبير ابي الطيب المتنبي ...

قد يتجاهل ذلك من مرض ضميره وساءت نفسه ، فهذا لا يضير علو مقامك أيها الاستاذ الجليل ولا رفعة شأنك . ولا غرابة في مثل ذلك الشذوذ فقد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ، ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا . واني لاعتقد يا أبا طريف انك بما فطرت عليه من نبل وسمو لتعذر المقل العمياء التي لا ترى فضلك وما قدمته من أياد بيضاء لخدمة الاجيال الكثيرة التي مرت واحسبني اسمع لسان الحال منك يردد حيال امثال هؤلاء المكابرين او الجاحدين قول العباس ابن مرداس السلمي الشاعر والبطل العربي القديم : فان اك في شراركم قليلا فاني في خياركم كثير وهذا هو صاحب القصيدة المشهورة التي منها :

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي أثوابه اسد مزير

ويعجبك الطرير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجل الطرير

فما عظم الرجال لهم بفخر
ولكن فخرهم كرم وخير

لقد عظم البعير بغير لب
فلم يستغن بالعظم البعير

ولقد استنسر عليك في يوم من الايام بعض البغاث وتطاول عليك نفر من أقزام الرجال ممن لا خلاق لهم ولا رصيد من عمل صالح فباءت محاولتهم بالخذلان وبغضب من الله والناس وعجزوا عن نحت أمثلتك وأوهى قرونهم العجينية ان تنال من صخرتك الصلدة الشماء ومن رجولتك الفذة ومن عظيم فضلك فجعلت تنظر اليهم من عليائك مشفقا محوقلا قائلا حسبنا الله ونعم الوكيل .

ان أستاذنا أبا طريف يرى رأي الامام الشافعي رضي الله عنه : ففي الناس أبدال وفي الترك راحة وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا ، ولذلك فهو يحيا اليوم حياة ناسك في صومعته ان في حلب الشهباء محط آماله ومهوى مناه أو في حماة مدينة ابي الفداء مرتع طفولته ومربع صباه ، المدينتين اللتين أولاهما حبه الكبير وقسم حياته بينهما وقد ألقى الآن عصا التسيار واستقرت به النوى وخلد الى الراحة والهدوء يتجاذبه هوى جامح وحب عميق للمدينتين الخالدتين المذكورتين ولاصدقائه الكثيرين فيهما ، اذن هو ناسك ولكنه ناسك من نوع خاص فلم يهجر الناس ولا هجره الناس كما يفعل النساك عادة ، وصومعة ليست بعيدة المنال عن قاصديها ومريديها ونفسه الشاعرة الحساسة لا تستطيع أن تبتعد عن المحبين وان تحيا حياة العزلة القاتلة فطلابه الكثيرون وعارفو فضله يحجون اليه كلما سنحت لهم فرصة أو وجدوا الى ذلك سبيلا والعلائق الودية بينه وبينهم معقودة والارحام موصولة والاواصر متينة لا تنفصم عراها اذ لا تزال بقايا وفاء واخلاص في هذه الدنيا العابسة المتجهمة التي يكاد معين الخير أن ينضب فيها فهناك أناس أوفياء حقا للاستاذ الجليل وهو جدير كل الجدارة بالبر والوفاء ـ يجدون متعة وسعادة في الجلوس بين يديه يستمتعون بحديثه العذب المصفى عن ذكرياته وعن أيامه الماضية وأيام الوطن الغابرة وهو عميق الاطلاع على ماضي أمتنا وحاضرها وفترات عزها وشقائها يتمثل في ذهنه تاريخها القديم والحديث مع صدق وتجرد وأمانة وصدق واجادة في التصوير شأن الاديب الاريب والعالم الثبت الواسع الاطلاع .. واني لا أذيع سرا اذا قلت ان استاذنا حفظه الله قد شارف على الثمانين ولكن لم تحوج الثمانون سمعه والحمد لله الى ترجمان فهو لا يزال قوي العزيمة جم النشاط متوقد الذهن يملأ مجلسه مع اخوانه الخلص أنسا ولطفا ودعابة ويشعر مجالسه بروح الشباب وهمة الشباب تسريان في عروقه وفي نفسه المرحة وقد قضى من حياته هذه في التعليم ونشر الثقافة والعلم في المدارس على اختلاف درجاتها قرابة ستين عاما يخدم باخلاص منقطع النظير الناشئة والاجيال المتعاقبة . منها سنة دراسية في البحرين مع زميله المرحوم عثمان الحوراني وقرابة ٢٥ عاما في حماه بين مدرس ومدير لدار العلم والتربية ومديرا للمعارف وسنتين في انطاكية من اللواء السليب سنة في حمص مديرا للتربية فيها و ٢٩ عاما أو اكثر قبل التقاعد وبعده في حلب الشهباء مدرسا للغة العربية وآدابها في الصفوف العليا من مدارسها الثانوية وفي كلية الآداب ومديرا بعض الوقت لثانوية المأمون فيها وانكم لتعجبون كثيرا وتذهلون معي اذا قلت لكم انه خرج من هذه المعركة أو بالاحرى من هذه المرحلة التعليمية الطويلة الامد بصفة المغبون اذ لا يتجاوز راتبه التقاعدي مع التعويض العائلي ٤٥٠ ل.س ويستطيع كل منكم أن يتوصل لمعرفة ذلك اذا أراد الاطلاع على دخائل الامور ..

لماذا نكرم استاذنا أبا طريف ؟!

نكرمه لانه مرب حقا وعالم ثبت جليل القدر عالي المقام ، لانه معلم أخلص لرسالته فأداها بأمانة وصوفية صادقة وان المعلم من هذا النمط لهو رسول أو يكاد رسولا كما قال أمير الشعراء شوقي رحمه الله لانه ينشيء انفسا وعقولا واستاذنا يؤكد هذا المعنى في أكثر من مناسبة في قصائده فهو يقول في احداها :

لا ترتقي الامم الكبار بحشدها
بل بارتقاء معلم تتقدم

ويتحدث عن المعلم صانع الاجيال من قصيدة اخرى :

ما خلد التاريخ في صحفه
مثل الذي علم أو هذبا

والعلماء الفاضلون والمعلمون الحقيقيون والاحرار من رجال الفكر هم ايها السيدات والسادة ورثة الانبياء وقادة الشعوب الحقيقيون وهم محل اعتزاز الامم الراقية وموضع فخارها ويكفي تدليلا على ذلك أن نسمع ما قاله « كارليل » بهذا الصدد :لو سئلنا نحن الانكليز : أي شيء تفضلون ؟ ان تخسروا شكسبير أم الهند ـ وكانت يومذاك أثمن درة في تاج الامبراطورية لاجاب الساسة منا بما هو معروف « شكسبير » أما نحن الشعب فنقول بل لنفقد الهند وكل مستعمراتنا وليبق لنا شكسبير وأمثاله من ممثلي شخصيتنا الروحية نعم ياسادتي فقد تكون للسياسة لغتها الخاصة وللساسة منطقهم الخاص ولكن الشعب الذي يحترم نفسه يحترم قبل كل شيء معلميه وعلماءه وادباءه وحاملي لواء الفكر فيه .

ولعمري اذا ما قيست جهود الاعلام وزينت بالموازين الصحيحة وسجل الكرام الكاتبون لكل حسابه لكان استاذنا الجليل ابو طريف في طليعة من خدموا امتهم وبلادهم واستحقوا عن جدارة تقدير الوطن لهم .

ونكرم أبا طريف : لعزة نفسه وابائها وهو في ذلك مضرب المثل فهو يعيش قانعا من دنياه بالقليل في زمن أسفت فيه الاهواء وطغت عليه المادة حتى اصبحت هي وحدها مقياس الحياة ومدار قيمتها ومحور اهتمامها وهو براتبه الضئيل والضئيل جدا وفي مثل هذه الايام القاسية من الذين يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ويعيش عيشة راضية ويجد أن نفس الحر تحتمل وان النفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع وهيهات هيهات ان يطلع احد على ما تنطوي عليه نفسه السامية من انفعالات داخلية ولدتها قسوة الحياة وجور الايام ..

نكرمه لانه يحتقر الخنوع ويمقته خصوصا من العالم والاديب ورجل الفكر ويرثى لحال هؤلاء الذين ضلوا واضلوا واضاعوا حرمة العلم ودنسوا قداسة الفكر بخنوعهم وانقيادهم لنزواتهم واهوائهم ومطامعهم الدنيوية فأرسل صرخة مدوية من أعماقه مشوبة بالالم والاسى فيها عظة بالغة وتعريض بمن هانت عليهم نفوسهم وذواتهم فكانت على الناس أهونا فلنسمعه يقول :

ولما رأيت العز أمحل ربعه
رحلت وعندي عزة وإباء

تغربت لا أشكو الشقاء وانما
مقامي مخفوض الجناح شقاء

ومن يلتمس عزا يجد شدة الظما
بلالا اذا راع الذليل بلاء

وهذا ما يذكرنا بقول القاضي الجرجاني رحمه الله في عزة النفس الذي كثيرا ما يتمثل به استاذنا الجليل :

يقولون لي فيك انقباض وانما
رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما

أرى الناس من داناهم هان عندهم
ومن أكرمته عزة النفس أكرما

ولم أقض حق العلم ان كان كلما
بدا طمع صيرته لي سلما

اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما

أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة
اذن فاتباع الجهل قد كان أحزما

ولو ان اهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا
محياه بالاطماع حتى تجهما ..

ونكرمه لانه نبيل العصر صادق العاطفة ينسجم قوله مع فعله وفعله مع قوله :

رونق الصدق فيه باد ومازا   ل الى الصدق كل سمع يتوق

طـرق جميـع أبـواب الشعـر وحلـق وأبـدع وكـان صـادق العاطفـة في جميعهـا فلـم يمـدح ولم يرث مثلا الا من يستحق المدح والرثاء فيمـدح العلماء الاعلام على اختلاف مواطنهم وجنسياتهم ويمدح العظماء من بني قومه ويرثيهم اذا فجع الوطن بواحد منهم ويرثي اصدقاءه الخلص اذا فجع هو بهم ويبكيهم بكاء مرا وتتقطع نفسهم حسرات عليهم وعلى الشهـداء والعظماء الذين افتقدتهم الامة وفجع بهم الوطن .

نكرمه لانه وهو في هذه السن المتقدمة يريد ان يتابع برغبة ملحة مركب الثقافة ونمشي معه جنبا الى جنب يريد ان يعيش دائما مع الفكر والمعرفة ويطلع على كل جديد في هذا الميدان الواسع المدى فهل ينصف الزمان – ولو متأخرا – استاذنا الجليل فيقتني ما يريد مـن كتب حبيبة الى نفسه فيضيفها الى مكتبته العامرة وهل تسعفه الايام ان يخرج ديوانه الثاني المهيأ للطبـع مـن مخبئه الى حيز الوجود فلا يحرم منه رجال العـلم وطلاب المعرفة وهل يستطيع ان يجمع آثاره الكثـيرة والمبعثرة هنا وهناك في ثنايا الصحف والمجلات فيضمها بعـد شتات باقـة واحدة الى المكتبة العربية حقق الله الآمال وأظفره وأظفرنا بالاماني العذاب . . .

كنت أريد أن أحدثكم قليلا عن أدب الاستاذ وشعره ولكن تهيبت الموقف وخشيت أن أتورط وتزل بـي القدم وأتيه في أودية الشعر وأضل في مسالكه وهـل يفتي أيها السادة ومالك في المدينـه ومالكنا في هـذه الامسية الطيبة وأدابها في كلية الآداب هو الاديب الكبير الدكتور عمر الدقاق عميد كلية الآداب في حلب وزميله فيها الاديب الاريب والمحقق الثبت الاستاذ محمـود الفاخوري الابن البار لهذا البلد دفعها حق الوفاء والبر أن يشتركا بهذا الاحتفال النبيل وسيتحدثان لكم عـن علم استاذنا ودوره في التعليم وعن شعره وسيكون لنا جميعا من كلمتيهما في هذا المجال الكفاية كلها والغناء كلـه . . .

ما أحوجنا في هذه الايام الى امثال استاذنا الجليل ابي طريف معرفة واسعة في وداعة الطفل وخدمـة مخلصة في سكون وهدوء واندفاع في تواضع منقطـع النظير نحو تلبية نداء الواجب في خدمة امته خدمـة صحيحة بعيدة كل البعد عن الزيف والرياء ينفر بشكل ملموس من تسلط الاضواء عليه ومن حب الظهـور والسعي وراء الشهرة الكاذبة وينـدد بذلك الوبـاء الفتاك الذي بدأ يلم ببعض عناصر المفكرين من ابناء هذه الامة ويشبه أمثال هؤلاء بالمذنبات التي تتألق بغتـة ولا يلبث أن يمحي ألقها ويخبو ضوءها أو يشبههم – على لغة الفقهاء – بالفجر الكاذب الذي يلوح بالافق مستعرضا كذنب الثعلب فيخدع الابصار ثم يختفي بعد قليل مخلفا وراءه العتمة القاتمة والظلام الدامس .

وبعد اني أرفع خالص شكري مقرونا بالتقـدير والاحترام للجنة الاحتفال وللصديق الكريم السيـد المحافظ الذي كان له فضل كبير في صيرورة هذه الحفلة التكريمية الجليلة واخراجها الى حيز الوجود ورعايتها، وبهذه المناسبة أقول بكل صدق واخلاص لقد مر على هذا البلد – الذي يذكـر المآثر والايادي البيضاء – مر محافظون كثيرون كانت تتمثل في بعضهم الرجولـة الحقة والعمل باخلاص للصالح العام اذكر منهم علـى سبيل المثال لا الحصر السيد رشيد طليع وقـد كان محافظا لمدينتنا حماه فترة من الزمن بعد الحرب العالمية الاولى وسجله ناصع مليء بالمآثر والجهاد القومي واذكر بالخير السادة خيري رضا وسعيد السيد وكان لهـذا الاخير فضل كبير وموقف مشرف في احباط مؤامرة دنيئة حيكت خيوطها في الوزارة لابعاد استاذنا عـن مديرية التربية في حماه واذكر كذلك السيد ياسـين الفرجاني الذي كان محافظا لهذا البلد خلال ايام الوحدة حقق الله آمالنا بعودتها وكان ايضا من خيرة الرجـال وأخلصهم ومن حسن محافظتنـا أن يكون على رأس ادارتها الصديق السيد منير بريخان الذي لا تنقصـه الرجولة والحنكة والاخلاص في العمل والكفاءة الادارية التامة وكان في مقدمه خيرا لهذه المحافظة فلقد جنبها بحكمته وبعد نظره كثيرا من المتاعب التي لم تكـن بالحسبان ولو كانت الرياح مواتية تجري بما تشتهي السفينة وربانها للاقى منه بلدنا الخير الكثير وفقه الله في اداء رسالته واتمام مهمته .

هذا واني لمتفائل جدا بخير حماه يفدقه ابناؤهـــا المخلصون البررة من أدباء وشعراء ورجال فكر ومعلمين وعمال مخلصين يقومون بواجبهم على اتمه لرفع اسم هذا البلد الطيب بلد الجهاد والتضحيات والبطولات ولجعل سمعته عطرة يتضوع اريجها في الوطن العربي كله . ومهمة رجال الفكر مهمة سامية نبيلة حقا في مجال التوعية والارشاد والتوجيه القومي الصحيـح بدافع من صوت ضمائرهم الحية . وانني لواثق ان رجال الثقافة في هذا البلد وحاملي لواء الفكر سوف يكونون دائما عند حسن ظن الاجيال القادمة بهـــم روادا حقيقين يقودون الى المثل العليا ويدلون علـى الخير ويحاولون ان يكونوا قدوة صالحة في نشر المحبة والاخاء بين انفسهم اولا ثم بين سائر المواطنين ليبرهنوا انهم أدباء حقا ورجال فكر جديرون بالاحترام وليبق متمثلا في أذهانهم دائما قول الدكتور صموئيل جونسون الناقد الادبي الشهير « ان الادب الحقيقي وسيلة لتطهير النفس والسمو بها الى مستوى الانفعالات الانسانية .

وأريد بهذه المناسبة الطيبة أن نذكر أنفسنا جميعـــا بكلمة اسكندر ديماس الكبير التي يقول فيها : أسمـع كل يوم من يقول من يستطيع اصلاحنا ؟! لا تجهـد نفسك أيها السائل بالبحث عن هذا الرجل فأنا أدلك عليه انه عندك وبين يديك انه أنت وأنا وكل فرد منـا وان العمل البناء هو المقياس الحقيقي لقيمة الانسان ..

فلنعاهد الله ونحن مجتمعون في هذا الاحتفال النبيل بتكريم المربي الكبير أبي طريف أن نكون جميعا عـلى مستوى مسؤولياتنا وعلى مستوى المثل العليا لنجعل من بلدنا هذا نواة طيبة وحجيرة صالحة في جسم امتنا العربية التي لا تزال برغم ما مر بها من عظـــات وعبر تتقاذفها الانواء وتتنازعها الاهواء والفضل كل الفضل للسباقين الى الخير ولمن يكونون جيدين بأنفسهم وقـدوة حسنة لسواهم ...

واخيرا أيها الاستاذ الجليل : تقول :

كيف اعلو وقد حنى الدهر ظهري
وبأرزائـــه الجسام رماني

ونحن نقول :

يا أيها الشيخ ان تهرم فما هرمت
لك القرائـح والاقـلام والهمـم

ونقول أيضا :

لاتنه فضلك ان يذيع فانمــــا
تنهـــى الازاهر أن تفوح عبيرا

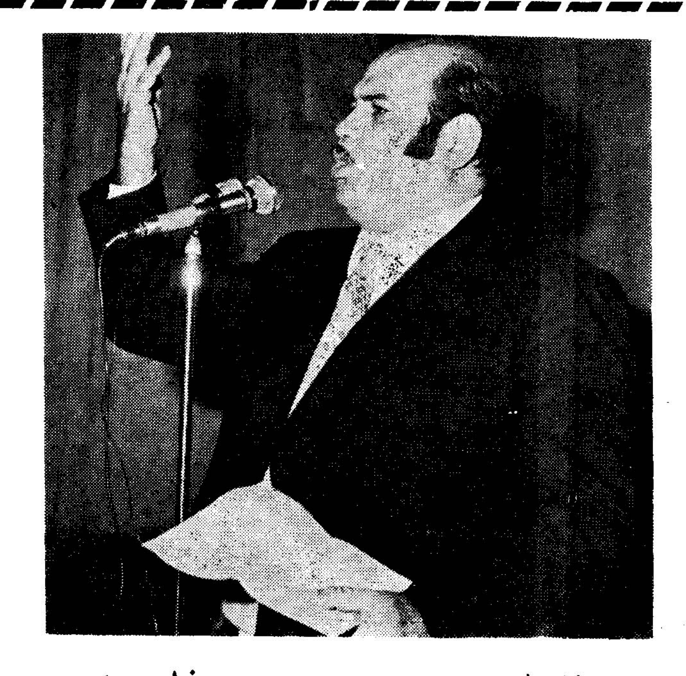
ونقول أيضا وأيضا :

فاليـك أبا طريف نرفـع شكرنا
وعليـك باسـم المكرمـات نسلم
ستين عاما قـد قضيت وانمــا
هي حجـرة العلم التـي تتضـرم
فتذوب كالشمـع المنير لغـيره
ان العظيـم بمـا أتاه يعظــم

وختاما احييكم أيها السيدات والسادة معتـــذرا وأقول لاستاذي الجليل

تقبل بغض الطرف لهفـة شاكر
قصارى منـاه أن تعيش وتسلما

● هاشم صيادي





أنتَ قيثار أمّة

سعيد قندقجي

لا تلـم جرحــه ومـر عذابــه … فاخضرار الوجـود مــن أهدابه

والنعيـم الــذي تــراه بقايــا … مــن ينابيـع روحــه وشبابــه

أثقلتـه الايــام لكــن فجــرا … أبديــا يطــل مــن أثوابــه

تتوالى الاجيــال خلف عطايــاه … وتصحــو على نــدى أكوابــه

والسحاب الــذي يمـر خصيبــا … أترعتــه الآفــاق مــن تسكابــه

أيــن أفراحــه وينتفض المجــد … المــوشى بنزفــه واغترابــه

يتســامى وفي مراشفــه الســم … ويسخو والشوك محض ثوابــه

انــه الشاعــر النبي على الارض … نشيــد السمــاء عــزف ربابــه

يحمــل العالــم الكبـير بجنبيــه … ويشــدو بزهــوه واكتئابــه

يتفانى لتشرق الشمس في الكــون … ويكسو الربيــع كــل شعابــه

ولكـم عــاش مهمـلا فاذا مــات … نثرنــا الاجـلال فــوق ترابــه

ورفعنــا لــه الصــروح كأنــا … ما عرفناه قبــل مــر غيابــه

أيهــا الواهمون لا تلمسوا الجـرح … ولا تقربــوا جحيــم عبابــه

أين عهد اذا بدا الشاعر الفذ سفحنا الجوزاء في محرابه

وعقدنا له اللواء وسرنا للعلا والفخار خلف ركابه

فغدونا كأننا نحن والموت شريكان في ابتداع مصابه

والحضارات وهجها عبق الفن واشراقها على أعتابه

ولقد يجدب الربيع ويبقى موسم الواهبين في اخصابه

وجميل الوفاء أن نكرم السيف وأن نلتقي على أنخابه

يا نديم الضياء شط بياني وتمادى ببعده ووثابه

فأغثني أبا طريف وحسبي منك ماض غرفت من أطيابه

أنت أجيالنا وكل فؤاد أنت شريان هديه وطلابه

نتلاقى على محيط عطاياك ونمتار من ضحى آدابه

والعيون الظماء تبحر نشوى بين شطي نميره وملابه

يتهادى بنا الحديث وينساب ونعمى الحديث عند انسيابه

فاذا ثار بعد طول تأن فكأن البركان في أعصابه

يحرق الارض ، يقلب الكون ، يهمي بالشظايا على حمى طلابه

ثم يرتد قبل طرفة عين لابتساماته وحلو دعابه

هو قلب أشف من رفة النور وحس أرق من جلبابه

وكذا الشاعر الاصيل تراه يحمل الطفل في ثنايا اهابه

خالص النفس من رياء وحقد طاهر في ثوابه وعقابه

عربي الفؤاد مالان للبغي ولو كان حتفه في انتسابه

لا يبالي كرمى لامته الكبرى بقيد العدو أو ارهابه

فاسأل النعميات لو شاء كانت ... عند أقدام سؤله ورغابه

غير أن الابي من يظمأ الدهر ... اذا كان ذله في شرابه

يشرق الكبر من جوانحه الشم ... ويحدو الشموخ وثب عرابه

يتعالى وكم جبان تهاوى ... حين لاح الفتات من أربابه

هو من عالم الذرا فاستريحي ... يانسور الذرا على أعقابه

آثر النفي والتشرد والجوع ... حفاظا على اباء رحابه

وكنوز البحرين لم تغر عينيه ... ولم تثن قلبه عن صوابه

ساوموه فكان كالصخر جبارا ... وكالصرح في اعتداد جوابه

والمضحى بروحه لا يبالي ... أن تكون النجوم من أسلابه

★ ★

يا نديم الضياء أنى توجهت ... فروض بنفحه ورضابه

قد صحونا على يديك ونعمى ... أن يرى الكرم مجتلى أعنابه

لك منا سبع وخمسون عاما ... هي مجد الزمان عند حسابه

كنت فيها مربيا والمروءات ... تبارى على ندي لبابه

كنت فيها معلما أي جيل ... لم تكن أنت خصبه في سحابه

كنت فيها العطاء لو ينصف الدهر ... لكنت العنوان فوق كتابه

مجدك المجد ثم لا شيء منه ... غير قفر ملفع بسرابه

رب أعمى يجنى النضار المصفى ... وبصير يقتات شوك يبابه

ويقولون أشرف الناس لكن ... يتناسون سله من مصابه

وهـو ماض كالسيف يهزأ بالفقـر ويغنـى بجـده لا قرابـه

ولكـم يرتشي الانـام ورشـواه ارتسـام الضحى علـى أحبابـه

حسبه أن يـدق بـاب الامـاني كي يرى النـور مطرقا عند بابـه

هو كالنبع لن تعيق صخور الارض نبعـا عـن دفقـه وانسكابـه

هـو أقـوى مـن الاعاصير مهمـا حاولت رومـه وهـدم قبابـه

وهبتـه الحيـاة قلبـا سخيـا يسكب الحب مـن دنان عذابـه

انـه وارث النبـوات صفحـا عن أذى دهـره وطعـن حرابـه

وعشيق الضيـاء ليس يبـالي ان تبـدى لـه الظـلام بنابـه

ولـو أن السخاء شـاد مثـالا لاصطفـاه معلمـا في انكبابـه

★ ★

أيهـا الشاعـر المحلق وحيـا في سمـاوات وجـده وعتابـه

فـارس أنت فامتط الريـح للافـق ومـد الجناح فـوق شهابـه

واقطف الشمس للقلوب الحيـارى وانشر النـور بعـد طول احتجابـه

أنت عـين الوجـود تبصـر مـا لـم يبصـر الواهمون مـن أنصابـه

أودع الله في ضلوعـك قلبـا يتنشهى الربيـع بعض مذابـه

تتحرى الجمـال حتى مـن القبـح وتهـدي اليقين بعـد ارتيابـه

واذا مـا غضبت كنت جحيمـا يتهاوى الطغـاة عنـد انصبابـه

ثـائر أنت قائـد دون تـاج خسىء التـاج أن يفيـك بمابـه

كـم أمـير ثـوى وشعرك بـاق يتسامى والـدهر مـن حجابـه

واذا خانك الزمان فجهل		من زمان يجد في تلعابه
أيها الشاعر الاصيل عطاء		أنت مأوى القريض من أغرابه
كم دعي يمزق الشعر حتى		يحسب الشعر نفسه من سبابه
هو أدهى عليه من غصة الموت		وأقسى مرارة من غرابه
يتمطى فيضحك القدر المفجوع		من هذره ومن اجدابه
أمة تقبل الفجيعة شعرا		هي روض يحنو على حطابه

★ ★

ياابن يحيى خذ الكتاب وغرد		لك صرح الخلود عند انتخابه
كنت فينا براعما ثم فتحت		ففقت الربيع في أطيا .... به
أنت قيثار أمة مجدها الشعر		وآلاؤها صدى اطرابه
تتوالى الزحوف حين يغني		وتموج الدماء من قرضابه
ولكم أيقظ القريض غفاة		فأعادوا الضياء من سلابه
شرف الحرف أن يكون نذورا		كدم الشعب في جلال احتسابه

★ ★

يا أبا المكرمات حسبك مني		موقف الغصن من مفاخر غابه
فأعرني من جانحيك بقايا		أخجل النسر في مدى تجوابه
لك مني على الزمان وفاء		يتشهى العاصي ندي حبابه

سعيد قندقجي

عمر يحيى المحامي
المعلّم العالِم

د. عمر الدقاق



ليس اشهى الى النفس وأحلى على القلب من نجوى الايام الخوالي ، ومن حيث الذكريات السالفة وكما قال شاعرنا العربي :

نشوة الذكريات افعل في الانفـــ ـــس من نشوة ابنة العنقود

ما أحيلى ان يجود الدهر علينا بين الحين والحـين بجلسات عذبة تضم اصدقاء الصبا وخلان الوفا حيث يطيب لرفاق الدراسة ان يتجاذبوا اطراف الاحاديث بعيدا عن عالم السياسة المتفجر الذي يكاد يقصم الظهر ويمـزق القلب ٠

ما أحيلى ان يلتئم الشمل ويجتمع الصحب، بعيدا عن وطأة الواقع المرير ، وأن يختلس أولئك الاحبة من غمار العيش الطاحن ومن لحظات الزمن الهارب سويعات من اوقات الهناء وعهود الصفاء ٠

ما أجمل أن تسترخي النفوس المتعبة على وسادة مخملية من الذكريات الحلوة في مواجهة صورة حياتنا العابسة ٠٠٠ هكذا كان يلذ لنا في وقت من الاوقات ان تنعطـف بنا الاحاديث العارضة الى سالف ايامنا في بهجة غامرة ٠ وسرعان ما كانت تتجلى أمامنا صفحات من الماضـي البهيج تستوقفنا دون سواها من سجل حياتنا الوضيء وقد رسم البعد حولها هالة زاهية محببة ٠

وكم يطيب لنا الى الان في هذه الجلسات الاخوانية ان نتدفق في رسم ملامح تلك الصورة المتألقة صورة ايـام الدراسة والشقاوة ، حين ينسرد امامنا شريط براق متوهج

من تلك العهود الطيبة ، أيام كانت مقاعدنا من جناح الزمان وقبل ان ندرك بعدها خطر المركب من قابل السنين ٠

الحديث الاثير الذي يستهوينا أبدا ونستعيده دون ان تبلى جدته هو أن نسترجع بنشوة بالغة حكاياتنا مع رفاقنا ومع أساتذتنا ٠ وأستاذنا عمر يحيى في غالب الاحيان هو الشخص الغائب الحاضر بيننا ٠ وعندما نطوف بالاحاديث ما يشاء لنا التطواف ويعرض ذكر عمر يحيى نحط الرحال عنده وينعطف الكلام نحوه ، وحينئذ يدب في المجلس نشاط جم فتعلو نبرات الاصوات ، ويتقاطر شريط الذكريات ٠

ما أبهاها من صورة ، صورة راسخة ابدا في قلوبنا منقوشة ابدا في نفوسنا ٠ رجل كالرمح العربي طويل القامة نحيلها ، جميل القسمات دقيقها ٠٠٠ عينان غير كبيرتين هما اشبه بعيني نسر قوي يشع منهما بريق الفطنة والنباهة ، وفم دقيق ترتسم حوله ابتسامة عذبة ٠ مهيب في هيئته ، وئيد في مشيته ، عليه سمة الاستاذ الجليل ، وكأن الوقار قد جلله قبل الاوان ٠ كان يشار اليه بالبنان اينما حل وينتزع الاعجاب حيثما كان ، ويحظى بالاحترام كلما عرض له في المحافل والمجالس ذكر ٠

كثيرا ما كنا نرى اليه وهو يعبر بوابة التجهيز العريقة في حلب ، متأبطا محفظة من الجلد ، ملساء شقراء ٠ انه يمشي بخطا ثابتة ، ويجتاز الممر الحجري الطويل فاذا نحن نزيح أنفسنا عن الطريق اجلالا له وتأدبا ، وقد نكف عن الحركة وكأننا جذوع أشجار أخرى التصقت بأشجار السرو التي كانت تكتنف ذلك الممر الجميل المبلط ، وكلنا يمني النفس بأن يحظى من استاذه عمر بلفتة عابرة عسى ان نبادره اثرها بالتحية ويكون لنا عندئذ سعادة غامرة ٠

الحاج محمد (الآذن) يقرع الطبل صباحا ، ولضرباته جلجلة خاصة ألفناها عند الدخول وعند الخروج ، حتى اننا نحس بتغيرها من أول ضربة حين يعرض لحاج محمد عارض يحول بينه وبين اداء مهمته التي دأب عليها عمرا مديدا ٠

ويستقر كل منا في مقعده ، واذ نتوقع دخول عمر يحيى علينا بين لحظة واخرى تغدو عيوننا معلقة بباب الصف ٠ وكثيرا ما يسبقه الينا واحد منا نندبه من بيننا كشافا مستطلعا كي ينذرنا حتى لا نؤخذ على حين غرة فننال من الزجر ما لا يعرف أحد مداه ، فالحال في درس عمر يحيى مختلف عن سائر الدروس ٠ لفافة التبغ التي قلما كانت تفارق أستاذنا هي اول ما يطالعنا حتى يقبل على الصف ، ثم وقفة قصيرة بالباب يعب خلالها الدخان ما يكفي لفراق ساعة ، ثم لا يلبث أن يقذف بها وينفث دخانها في شكل غمامة كثيفة سرعان ما يندفع الى الصف من خلالها ، وما اسرع ايضا ما يغير الله بنا من حال الى حال ، فينقلب هزلنا جدا ، وخفتنا وقارا ، كما يغدو ضجيجنا هدوءا ، ولغونا همسا وحركتنا سكونا ٠ وننتفض واقفين ثم نقعد وكأن على رؤوسنا الطير تكون نفوسنا ظامئة الى ما يلقيه عمر يحيى بصوت جهوري ركين ينطوي على رنين محبب ، واسماعنا متعطشة الى ذلك الاداء العذب والالقاء الجميل ٠

كانت كلماته تخرج من فمه وئيدة لا نلبث ان نعيها بيسر ، حتى لكأنها نقشت في أذهاننا ورسخت في نفوسنا ٠

أشهد على سبيل المثال انني درست على يديه علم العروض في الصف الثامن واستوعبت طريقة التقطيع وأحوال التفعيلات والقافية خلال بضعة دروس فحسب ، مما أغناني في هذا المجال عن المزيد في غمار دراستي الجامعية وما هي الوظيفة المعتادة تطبيقا للدرس المعطى ؟ على الطالب أن ينظم في داره بضعة ابيات على البحر المطلوب واذكر ان الامر عسر علي تلك الليلة فلم أفلح في جعل جميع التفعيلات (مفاعيلن) ليبقى البحر هزجا ، اذ حرنت في احداها في بيت القصيد وشذت عن السرب ٠ وهي تأبى الا ان تكون (مفاعلتن) ٠ وقد همني ذلك وكان علي أن احسب له حسابا كبيرا في قاعة الصف ٠

وعندما جاء دوري وعرضت الدفتر على استاذي وأنا واجف وراح يقرأ فيه ذلك الكلام المنظوم ، كنت في الوقت نفسه أحاول ان أقرأ بدوري ما ينطبع خلال اساريره من

معان ، وكانت بسمة منه كافية لان تسري عني همي وتزيح عبئا عن كاهلي ٠

أية طاقة عجيبة كان يبعثها فينا هذا الاستاذ الكبير ، فاذا نحن جذوة متقدة من الحماسة والاندفاع ، الوظيفة الشهرية فرض نؤديه بسعادة بالغة ٠ وكان علينا ان نعود بارشاد من استاذنا الى مراجع عديدة من مثل ضحى الاسلام وامراء البيان ٠٠ بضع صفحات كانت تكفي ولكن هيهات فهذا لا يرضينا ، كنا نطيل تلك الوظيفة حتى تبلغ صفحاتها العشرين او تزيد ٠ ولم نكن نرتجي من ذلك كله سوى ان نحظى بتعليق على بعض الارشاد والتوجيه وعلى بعض الثناء والتشجيع ٠

عجيب امر هذا الجيل من الرجال ، يعطي طوال يومه ما شاء له العطاء ، حتى اذا أمسى المساء كان على احدنا أن يبادر الى استاذنا ليساعده على حمل دفاتر الطلاب وأوراقهم ، حينا الى مكتبه وأحيانا الى داره لتصحح في هدأة الليل ٠٠٠ وهكذا كان عمر يصل سهر ليله بعرق نهاره ٠ انه الوجدان المسلكي او هو الضمير الحي الذي مضى الى غير رجعة ، فما أبعد الفارق بين معلم الامس ومعلم اليوم ، وبالتالي بين تلاميذ الامس وتلاميذ اليوم ٠

كان تجاوبنا مع أستاذنا حارا فما ان يوصي بقراءة كتاب حتى نبادر الى دار الكتب الوطنية نطلبه بلهفة ، اذ من النادر أن يكون في بيت احدنا بل لدى اخد في حينا مكتبة بل كتاب ٠ واذكر مرة ان الاستاذ عمر وبخنا بشدة لانه لم يجد بيننا من يعرف شيئا عن كتاب العمدة لابن رشيق ، فشعرنا بالخجل لتقصيرنا ٠ وفي مساء اليوم نفسه وقبل ان اصل الى بيتي هبطت شارع الكتاب قاصدا دار الكتب بباب الفرج ٠ وعندما ملأت الاستمارة وناولتها لقيم المكتبة شعرت بالارتياح لانني سوف أحظى بالكتاب الذي شوقنا اليه أستاذنا ، ولا تسألوا عن الذعر الذي اصابني يومئذ اذ لم يعد الشيخ يونس بالكتاب بل أمسك بتلابيبي وهو يصيح بغضب : « هلكتوني يا قرود ، انتم تسخرون مني ، أنتم متواطئون ضدي اذ تبعثون بي مرارا الى اعماق مستودع الكتب لجلب الكتاب بعينه ، ثم قال لابد لي من تسليمك الى المخفر ، بل سأشكو أمركم جميعا الى المحافظ » في تلك اللحظات الحرجة كنت اقول له بصوت خافت : «كان الاجدر بك ان تمسك بتلابيب عمر يحيى لانه اصل البلاء » وقد تطلب الامر جهدا كبيرا ليدرك الشيخ يونس ان كل طالب انما كان يهرول من التجهيز الى المكتبة قبل سائر رفاقه ليحظى بالكتاب المنشود وهو يظن انه السابق دون ان يفطن الى ان هناك من وصل قبله واستأثر بالكتاب ٠

على ان امتع الدروس ما كان ينتهي في دقائقه الاخيرة باستجابة استاذنا لرغبتنا الملحة في أن يلقي على مسامعنا شيئا من شعر الغزل ، وحين كان يفعل كان ينتابنا ونحن في سن المراهقة فرح غامر ، ولا سيما حين يكون الغزل منطويا على بعض الجرأة ٠ غير انه لم يكن ينغص علينا تلك المتعة سوى قول عمر يحيى بابتسامته المعهودة : « دعوا الاقلام كلها من ايديكم » فنتركها على مضض ونحن قانعون بنشوة السماع اذا فاتتنا فرصة التدوين ٠ على ان بعض الخبثاء كانوا يبسطون الدفتر او الورق على ركبهم وأفخاذهم ويسجلون ما استطاعوا تسجيله خلسة من اشعار الغزل فيحظون بتلك الغنيمة محسودين من سائر رفاق الصف ٠ لله ما كان اجمل ذلك الشعر ، بل ما كان احلى ذلك الاداء ٠٠ ومع ان قرع الطبل مؤذنا بانتهاء الدرس كان في العادة يفعم نفوسنا بهجة الا انه في هذه اللحظات الجميلة كان يثير فينا السخط ويبعث الامتعاض بسبب صوته المجلجل الاجش ، حين يطغى على نبرات صوت الاستاذ الشاعر وهو يتدفق في اشعاره بعذوبة بالغة ، والان فقط نصحو الى امرنا ونهبط بغتة من عليائنا ٠

ثم تمر ايام وتنقضي اعوام ، فتقوم كلية للآداب بجامعة حلب ، ويكون الاستاذ عمر يحيى في طليعة اعمدتها ومن ندبوا للتدريس فيها ، وكان جليا انه لم يكن بوسع احد في مدينة حلب ان ينهض بتدريس مادة النحو سواه ٠

والحق ان اكثرنا لم يكن يدري شيئا ذا بال عن هذا الجانب عند عمر يحيى ، فقد عرفناه شاعرا جزل العبارة وعرفناه استاذا ليس له في حقل التدريس نظير ،

وذواقة للادب لا يجارى ، وراوية للشعر لا يبارى ، فاذا هو عالم متبحر في علوم العربية ، نحوها وصرفها ، متمكن من مذاهب النحاة واللغويين .

لقد اعتدنا من حين الى حين والى هذا اليوم ان نرجع الى ابي طريف كلما عرضت لنا مسألة شائكة خلال امالي القالي او كامل المبرد او ما شاكل ذلك وكان الجواب – كما نعهده – يأتينا سديدا محكما ، مدعما بالنصوص مؤيدا بالشواهد . حتى ان داره كانت وما تزال – سواء في باب النصر او الجميلية – كعبة العلم والادب ومنتدى الادباء والشعراء . وكم قرع بابه في اوقات عارضة ليحكم في قضية نحوية او لغوية ليزيل التباسا في نص ادبي ، او معنى مستغلقا في قصيدة من الشعر . وكم كان النقاش يحتدم بين بعض الاساتذة المتتبعين ، فيصل الى حد الرهان ثم تكون نهاية المطاف عند ابي طريف حيث تكون له كلمة الفصل .

وفي هذا الطور من حياة عمر في التدريس الجامعي قيض لي ان اصحبه زميلا وصديقا ، ولكنني اعترف بأنني لم استطع قط ان اتخلص من سمة التلميذ تجاه استاذه . وكلما بدا لي انني شببت عن الطوق عاودني وانا قريب من عمر يحيى شعور بالضآلة وأصبت بازدواج الشخصية فأحس بأنني استاذ وتلميذ معا .

والحق انه لا عيب في عمر يحيى سوى ان شخصيته قوية طاغية الى اقصى مدى ،حتى انه قد يكون من العسير احيانا على تلاميذه ان ينفكوا من اساره ويتحرروا من سلطانه . كان مثلا دائم الاعجاب بالشاعر حافظ ابراهيم خلال تدريسه لمادة الادب ، ولعل في عصامية عمر يحيى وايثاره للبساطة وشعبيته الواسعة ما يحبب اليه شاعر النيل ويجعله اثيرا لديه . اما انا فقد سرى الى نفسي هذا الاعجاب بحافظ وتملكني امدا طويلا قبل ان أتمكن بعد لاي جهيد ودراسة مستفيضة من اعتقاد العكس اي أن احمد شوقي يفوق حافظا في الشعر . بل انني اذهب الى مدى ابعد حين أعزو الى استاذي تبعة انعطافي الى دراسة الادب وانصرافي عن التخصص في حقل العلوم ذات المردود المادي .

وقد بلغ من قوة شخصية عمر ان طلابه في ثانوية المأمون وفي كلية الاداب على حد سواء كانوا يخرجون من صفوفهم احيانا معلنين الاضراب لسبب غالبا ما يكون سياسيا . وكان الامر عليهم يسيرا اذ يكفي ان تتردد في جنبات الرواق كلمات من نشيد حماسي معروف وهمة الشباب تذلل الصعاب حتى يندفع الطلاب من داخل صفوفهم كما تندفع اسراب النحل من خلاياها .

على انهم بالنسبة الى صف عمر يحيى كانوا يتهيبون اقتحامه فيكتفون بالهتاف امام الباب او تحت النافذة ، كما كنا داخل الصف نتململ ونتحرق شوقا لنداءات الاضراب السحرية دون ان نجرؤ بدورنا ايضا على الاتيان بأية بادرة وكثيرا ما يتوقف بعد حين عن القاء درسه ويشير علينا بالخروج . اما اذا اعتقد بأن سلاح الاضراب قد استعمل دونما مبرر فقد يفتح الباب محتدا ويطلق صيحة غاضبة في وجه المتجمهرين تذكرنا بسيرة عنترة حين يصيح في الجموع ، فيرتد القوم ويتشتت الشمل .

كان عمر يحيى في التعليم الثانوي والتعليم الجامعي وفي اوساط الادب والثقافة بمثابة المعلم الكبير والمرجع الموثوق والعالم الموسوعي ، حتى انه وحده بمثابة مكتبة حية تسعى على الارض .

ومن عجب أن يتسم من كان هذا شأنه بتواضع جم كالسنبلة المكتنزة تحني رأسها . بل انه على غزارة علمه متعطش ابدا للمعرفة ، يحرص حتى اليوم على الاطلاع ويدأب في ترقب كل جديد مما تصدره المطابع ودور النشر .

لقد استظهر عمر يحيى فضلا عن معظم آيات القرآن الكريم الاف الصفحات من أشعار العرب وخطبهم ومن امثالهم وأخبارهم ، من مثل نهج البلاغة والاغاني والقسم الاكبر من ديوان المتنبي وجوانب وفيرة من اشعار الجاهليين والامويين والعباسيين ...

والذي يبهرنا وينتزع اعجابنا هو غزارة محفوظه واقتداره على رواية الشعر الى حد يثير الدهشة . وفي

يقيني أن كلمة راوية لا تكاد تنطبق على احد في هذه الايام كما تنطبق على عمر يحيى ، فهذا طراز نادر من العلماء الرواة لا نجد له نظيرا الا عند السالفين من افذاذ العرب كالمفضل والاصمعي ٠٠ ولعل عمر اشبه ما يكون بأبي تمام باعتباره شاعرا جزل الالفاظ وباعتباره ايضا عالما بالشعر وكثير المحفوظ من اشعار العرب ٠ وأشهد انني طوفت طالبا واستاذا في كثير من بلدان العــــرب ومعاهدها وجامعاتها فلم اجد قط أروى للشعر ولا سيما الشعر القديم من عمر يحيى ، فهو في هذا المجال نسيج وحده وليس له نظير في هذا العصر ٠

فما اروع ان يختزن الينبوع الثر كل هذه الروائع ثم يفيض بعد ذلك بالعطاء والخير العميم ٠

لقد أحببنا في عمر ايضا ـ في جملة ما احببناه ـ رجولته البارزة ، فيه يتجلى العنفوان الحموي ويمتزج امتزاج الماء والراح بالاباء العربي وشمم البداة واصالة الاجداد ٠

لقد احببناه في كل حين وفي كل حال ، أحببناه في سخطه ورضاه ، أحببنا فيه ذلك المزاج الشاعري ، غضب الى حد التحطيم والانفجار وهدوء الى حد الاسترضاء والاعتذار ٠ يثور كالضرغام ويهب كالاعصار ، ولكنه لا يلبث انيتطامن كالحمل ويرق كالنسيم ٠

ايها السادة : سئل مرة الشيخ محمد عبده : « لم لم تؤلف ؟ » فأجاب : « كل تلميذ من تلاميذي مؤلف » ٠ اجل ان طلاب عمر يحيى هم من هذا القبيل ، انهم ناجحون في حقل التدريس وفي الطب والهندسة والقانون والادارة ، وفي أكثر قطاعات الحياة ٠ انهم مدينون بجزء كبير من هذا النجاح الى هذا المربي ، وهم يعلنون في كل محفل بزهو واعتداد : « نحن تلاميذ عمر يحيى » ٠ اجل ، لانهم تلاميذ عمر يحيى فان عمر يحيى استاذ جيل ٠ وما علمنا اوفى او اجل من الذي يبني وينشىء انفسا وعقولا ٠

حماه ـ ٨ كانون الاول ١٩٧٧

عمر يحيى

عدنان مردم بك



عبء السنين يفل كل مهند ... ويعيث غاربها بكل ممرد
يبلى الشباب وتنطوي أعلامه ... في غيهب للحادثات ملبد
وشباب روض الشعر يأرج نفحه ... أبدا على كر الزمان السرمدي
غرر القريض تضيء ثم مساربا ... للخابطين على الدجى كالفرقد
وتضيء بالنعمى ، ويهمر طيبها ... غمرا يموج بسبسب وبفدفد
عمر البيان الدهر وهو ممرد ... في غابر أو حاضر أو في غد
هو والزمان الخالدان على المدى ... والزيف كان الاثم : غير مخلد

★ ★

أمعلم الفصحى جريت الى مدى ... في كل ميدان يقام لسؤدد
أعطيت ما تقضي المروءة راضيا ... من شرخ فينان الصبا المتأود
ووقفت عمرك في سبيل قضية ... مثلى ولم تحجم ولم تتبلد
ثقفت أجيالا وكنت منارة ... للخابطين من الحيارى الشرد
قومت معوج اللسان وطالما ... قومت معوج الضمير الاسود
لله أنت معلما ومهذبا ... للنفس عن درن يحز كمبرد
ومهذب النفس السقيمة من أذى ... ضمن الحياة لشعبه دون الغد

★ ★

أأدرت من سحر القريض سلافة ... لما شدوت بمحفل كمغرد
وفتقت أكمام الكلام ولم تدع ... من مغلق للقول أو من موصد
ومقطعات كالرياض تألقت ... ألفاظها كالكوكب المتوقد
برئت عن الاوشاب فهي نقية ... كالطهر يسطع من حنايا معبد

صنت القريض عن ابتذال رافعا ... من قدره عن لوثة أو عن دد
ووقفته حرا لنصر قضية ... فيما مضى في موقف أو مشهد
ما كنت مداحا ولا متملقا ... شأن الكثير ولم تكن بالمجتدي
أنصفت أحرار الرجال وفتية ... مهروا الحمى بالروح دون تردد
شادوا على أشلائهم ما حققوا ... من شاهق عجب هناك مشيد
وتلمسوا سبل الخلود فلم يروا ... غير الشهادة دونهم من مورد
ماذا عليك وقد مدحت بطولة ... في مثلها يحلو نشيد المنشد

★ ★

أحماة يا أم الشبول تحية ... مني اليك كنفحك المتجدد
أطلعت في الماضي الجبابرة الاولى ... من كل أروع بالحديد مقلد
كشباب (بدر) نجدة وحمية ... للذود عن شرف هناك موطد
قلوا وطابوا معدنا ونحيزة ... كالدر في شرف النجار وسؤدد
أنفوا الدنايا شامخين الى السهى ... برؤوسهم في لوثة المتمرد
وبكل شبر من أديمك يجتلى ... ما شف من ماض يروح ويغتدى
أترى هناك (أبا الفداء) ورهطه ... من متهم دون العلى أو منجد
فتيان صدق لا تلين قناتهم ... في حادث جهم العجاجة مزبد
في مثلهم صين الحمى وتأشبت ... حلقاته عن غاصب مستأسد
وأكاد ألمح خلف كل ثنية ... طيف الجدود على الرسوم الهمد
وأرى (بعاصيك) ائتلاق حضارة ... من غابر عجب ولما يخمد
مزماره رجع العصور مجلجلا ... ما انفك في خلجانه كمزغرد
فلعل من أذن هناك مصيخة ... لاشاوس لا تستكين كجلمد
تأبى الشكيم نفوسها لحمية ... وتعافه شمما بعزة سيد
حسب الرجولة في الحياة مهانة ... ان لا تثور على الاذى في مشهد

★ ★

ان السنين وان شجت أحداثها ... ورمت بسهم في الفؤاد مسدد
ما ثم سهم منقص لمروءة ... ولو أنه سهم الزمان المعتدي
ولطالما هرم الشباب وصوحت ... أزهاره والشعر فينان ندي
أوليس في سمة الكهولة والنهى ... عن زيف أحلام الصبا من مسعد

عدنان مردم بك

محمود فاخوري

عمر يحيى الشاعر

الشعراء ـ فيما قيل ـ ثلاثة : شاعر متخلف عن عصره ، وشاعر يعيش عصره ، وشاعر سابق لعصره . الاول مقلد خامل ، والثالث متفلسف في الغالب ، والشاعر الشاعر : من عاش في عصره ، وعاش عصره فيه والاستاذ عمر يحيى ـ الذي نحتفل بتكريمه اليوم ـ هو الشاعر الشاعر ، اذ تنعكس في شعره صورة العصر الذي عاشه كأكمل ما تكون الصور ، لانه عاش هذا العصر ، وامتزجت أحداثه السياسية والوطنية والقومية بروحه وعقله ، فكان أن نظم « بحواسه ، وبقلبه ، وبعلمه وتجاوب شعره مع أجوائه وأجواء أهله وعشيرته ووطنه فكان ثبتا لخواطر وعواطف هذا الجيل ، وكان همسات ونجوى صادقة ترددت في حنايا ضلوعه موصولة بنجوى وهمسات أهل هذا الجيل » (١) .

ولا غرو ، فقد آتاه الله موهبة مبدعة ، وقريحة صافية ، وشاعرية فياضة استمدت نفسها من ينابيع ثرة ، في مقدمتها بيئة حماه التي وصفها مارون عبود بقوله عنها انها « مدينة العلماء والائمة »(٢) وأزيد على ذلك فأقول : انها مدينة الادباء والشعراء .

اكتنفت تلك البيئة شاعرنا الذي « نشأ كبشار ، بين شيوخ وائمة تتذكر ـ متى حدثتهم ـ العرب الخلص فهم جميعا يتكلمون الفصحى ولا يلوكون ألسنتهم . وهذا قلما تجده في غير حماه ، العربية اللسان واليد والبيوت »(٣) .

هذه البيئة لم تكن علمية فحسب ، وانما هي بيئة طبيعية ساحرة . فقد حبا الله حماه مسحة أندلسية خلابة ، تثير القريحة وتوقد الموهبة . وأنين النواعير فيها يبعث الشجا ، ويطرب النفس ، وصباح العاصي ومساؤه يوحيان الشعر .

وثاني تلك الينابيع : مطالعات عمر يحيى وقراءاته



فقد اتخذ الكتاب خدنا وصفيا ، يأنس اليه في عزلته ، ويجعل منه سميرا ونديما « حتى يكاد لا يفرغ من المطالعة أكثر أيامه ، وحتى تكاد تحسب أن الكتاب رفيقه صباح

---

(١) من تقديم قدري العمر لديوان عمر يحيى

(٢) على المحك ١٢٨

(٣) على المحك ١٣٦

مساء .. واذا ذهب من مكان الى مكان ، تأبط كتابا أو أكثر ، يحتاط للفراغ بمطالعة الكتب »(١) ، حتى ضاقت زوجه بذلك ذرعا ، وتوقدت من غيظها ، وراح يقول على لسانها :

فعند الصباح ولوع به
وعند المساء اليه المثاب
اذا ما تغنى بليلاه قيس
فزوجي بحب الكتاب أهاب
أناديه حينا فلا ينثني
كأني أنادي الصخور الصلاب
فلولا حذاري على عقله
أتيت عليها بنار الثقاب

ولم يكن الاستاذ عمر يكتفي بذلك ، بل كان يمعن في حفظ الاشعار القديمة والحديثة منذ حداثته ، فقد حفظ حماسة أبي تمام وهو في الثانية عشرة من عمره ، كما حفظ معظم قصائد الامالي وديوان المتنبي وماحواه العقد الفريد والشوقيات ، وغيرها .. فجدد لنا عهد المفضل الضبي والاصمعي وخلف وحماد .. « حتى صار مرجعا يرجع اليه كثير من عارفيه اذا أشكل عليهم بيت من أبيات الشعر ، أو كلمة ، أو قاعدة » ، وعندئذ يتدفق البحر ، ويوافيك بالقصيدة ، وقائلها ، ومناسبتها ويدلك على مصدرها ، كل ذلك في تواضع العالم ، الذي يشعرك بأنه يتعلم منك أو يستأنس برأيك ، لا أنه يعلمك ويفيدك .

وكان له من أساتذته في الكلية الصلاحية بالقدس ، خير رافد يزوده بفنون العلم ، وألوان الادب والثقافة ، وحسبك فهم بالنشاشيبي اللغوي الاديب ، وعبد القادر المغربي العالم النير الفكر ، وجودة الهاشمي المربي القدوة وعبد الرحمن سلام الاديب الناقد .

ولا ننسى ما لرحلاته العديدة بين أقطار شتى من أثر في تنمية مواهبه وتفتح قريحته . هذا الى اتقانه عدة لغات غير العربية أمدت خياله بآفاق غير محدودة : فقد عرف الفارسية والتركية والفرنسية ، وقرأ آداب هذه اللغات والم بها الماما جعله يفهم الكثير من روائع بيانها .

وهناك أخيرا : تدريسه العربية سنوات طوالا ، وهذا ما صقل موهبته اللغوية ، وكشف له كنوز أم اللغات ، فأفاد منه طلابه كل الفائدة ، بعد أن أصبح « واحدا من جهابذة اللغة ، الذين لقنوا النشء أصول العربية من مناهجها ، فتخرج على أيديهم جيل من الشباب ، ملك قيادة اللغة ، وأحب الادب . والى جانبه أساتذة أجلاء ، في طليعتهم : عبد القادر المبارك ، وسليم الجندي ، وبدر الدين النعساني ، ومحمد البزم ، وأمين الكيلاني ، وغيرهم من أساتذة اللغة والادب »(١)

تلك هي الينابيع الصافية التي رفدت فكر شاعرنا وكونت ثقافته ، وأغنت مواهبه المتوقدة ، فراح يجلي في ميادين الشعر والادب ، وتسعى اليه الصحف والمجلات مخلية له أعمدتها ، وفاتحة له صدورها ، فقلما كنت تسمع أو ترى مجلة لا تضم في أحد أعدادها قصيدة له ، في حماه ودمشق ، وحلب ، وأنطاكية ، وبيروت ، والقاهرة .

وأخصب الفترات التي كانت قصائده فيها تملأ دنيا الوطن والعروبة : تلك التي رزحت فيها بلادنا تحت نير الانتداب أو الاستعمار ، اذ غلب الشعر الوطني والقومي على ما نظم ، فكان من رواد الادب الملتزم ، عاش في عصره ، وعاش عصره فيه ، فكان الشاعر الشاعر . يقول سامي الكيالي :

« وفكرة الادب الهادف أو الموجه أو الملتزم ، التي يدعو اليها الشباب المنفعلون مع تيار القومية العربية في هذه المرحلة من حياتنا الادبية ، والذين يحسبون أنفسهم من دعاتها وبناتها .. ان هذه الفكرة قد عاشها أدباؤنا وشعراونا منذ أكثر من ربع قرن ، وبعضهم قبل نصف قرن . وقد ظهرت جليلة في الصراع السياسي الذي وقفه الشرق العربي مع الاستعمار الغربي ، ووقفته سورية مع الافرنسيين . وعمر يحيى سار على نفس النهج الذي سار عليه البزم والزركلي ، وجبري ، وخليل مردم بك »(١)

« وبالرغم من بعده عن التيارات السياسية ، فقد عاش مع الاحداث التي عاشتها سورية في نضالها مع الافرنسيين ، فما من حادث مس شعور العرب الا سجل ملابساته بشعر يجمع بين القوة والجزالة ، فأحزانه صورة من أحزان قومه »(٢) .

---

(١) قدري العمر في مقدمة الديوان .

(١) الادب والقومية ، لسامي الكيالي ٢٣٨

(١) الادب العربي المعاصر في سورية ٣٤٠

(٢) المصدر نفسه ٣٣٩

كان الصراع شديدا أيام الانتداب بين الشعب والمستعمر ، وهو صراع امتد ربع قرن ، فلم يقف عمر يحيى وقفة الرعاديد ، بل كان صوته مدويا مجلجلا . ومع أنه كان مقيدا بأسر الوظيفة التي كانت تحول بين الكثيرين وبين التعبير عن شعورهم تعبيرا حرا منطلقا ، فانه لم يحسب لتلك القيود الصارمة أي حساب .

« لقد دخل الفرنسيون بلاد الشام سنة ١٩٢٠ في شهر تموز ، فكانت الضربة قاسية ، وكيف لاتكون قاسية وقد نعمت البلاد باستقلالها ، فلم يكن هذا الاستقلال الا حلما في الكرى أو خلسة المختلس » ، فكيف كان شعر الاستاذ عمر في تلك الايام العجاف التي « فيها عدو ، وفيها مراقبة ، وفيها حبس ونفي وما شابه ذلك ؟» (١)

لقد بقي شاعرنا صريحا جريئا ، لا يسكت في الحق ، ولا يساوم في الحرية . ويكفي أن نعلم أن من بواكير شعره البرعمي قصيدة نظمها سنة ١٩٢٢ في (ذكرى استقلال سورية) الوئيد ، اثر الحكم الفيصلي ، وهو معلم في الحادية والعشرين من عمره ، وفي هذه القصيدة يقول :

وهب الدهر نفيسا فاسترد
ربما جاد بخيل فحسد
وأمان بعدما قلنا ربت
غالها من نائبات الدهر يد
أي عيد عاد فينا مأتما
وربيع حال بؤسى ونكد
أصبح العاصي كليما بعده
وغدا الوادي غريقا مضهد

لقد حز في نفس الشاعر أن تغتال النائبات الاماني الغضة ، وينقلب عرس الحرية الى مأتم ، وانك لتشعر بالالم يمزق نفسه ويعصر كبده وهو يرى الاحلام الفتية تندثر وتتلاشى .

أما جرأته فانها تتجلى نادرة المثال ، بشكل يبعث على الاعجاب والاكبار لانها أنموذج في الوطنية جدير بالاقتداء ، وذلك حين زار شيخ العروبة أحمد زكي مدينة حماه عام الثورة السورية (١٩٢٥) والبلاد تغلي في أوج قوة الانتداب والسيطرة الاستعمارية ، فتقام للعلامة المذكور حفلة تكريم في دار العلم والتربية — متحف حماه اليوم — حضرها عدد من الشخصيات البارزة ، وفيهم المستشار الفرنسي نفسه ، وما أدراك ما المستشار ؟ في ذلك الوقت العصيب الذي انتصب فيه العدو شامخا مخيفا ، وبث عيونه وأرصاده ، وهيئت السجون لاستقبال نزلائها والموفدين اليها ، وأعدت المنافي لايواء كل من ينبس ببنت شفة ... في هذا الجو المحموم وفي تلك الحفلة نفسها ألقى عمر يحيى — وكان مدرسا في دار العلم والتربية — قصيدة مطلعها :

صدح الهزار على الغصون طروبا
وهفا الفؤاد من السرور مجيبا

وفيها يقول :

لمن المغاني أصبحت رهن البلى
ما ان تنال من الذياد نصيبا
دار السعادة غاب رب سعودها
فاستبدلت حزنا به وكروبا
والروض من بعد النضارة قد غدا
متسلبا يشكو الدبور قطوبا
لله نفس كلما كلفتها
نسيان ماضيها تؤج لهيبا
واذا دواعي الحزن هاجت واجدا
لم يستطع ردا لها وركوبا

وبعد أن يتحدث عن أبي الفداء وقبره ، يقول :

وحماة غادته غدت مسلوبة
تمشي البراح ، وعرضها موهوبا

هذا وذاك شعر يقوله صاحب عشرين ربيعا أو تزيد قليلا ، وقد امتلأ اهابه وطنية وحماسة وثورة ، والكلمة تنفذ مالا تنفذ الابر ، وتتفجر مالا تتفجر القنابل ، فأنى للمستعمر — مهما كان شأنه — أن يرقد له جفن وفي الامة أمثال عمر يحيى ؟

فلا تعجب اذا علمت أن الانكليز لم يستطيعوا السكوت أكثر من بضعة أشهر من عام ١٩٣٠ استكثروا على الشاعر أن يقيمها في البحرين ، حيث كان يعلم ويربي ويوجه ، فنفوه منها الى الهند خوفا من شعره الوطني اللاهب ، الذي كان في حقيقته تنبيها للغافلين وثورة على الغاصبين . وفي ذلك يقول من قصيدة عنوانها (من البحرين الى الهند) :

(١) انا والشعر ، لشفيق جبري ١٩

ودع (أوال) فقد قضى ظلامها
ألا تقيم ، ولم تطل أيامها(١)
أرض تفيأها الوفاء فحسبها
فخرا لو أن شيوخها حكامها
قالوا : نفيت، فقلت: أيسر نازل
ما هد من شمم النفوس حمامها
شرف المبادىء، أو نموت، نحوطه
ان الحياة على الممات قوامها
قالوا : الى الهند المسير، فأنتم
غرباء في البحرين، لا أرحامها(٢)
مرحى ، وأما الانجليز فانهم
أهل البلاد ، وأهلها أيتامها
ضاق المغير بأن نهيب بشعبها
ويود أن لو لم يفق نوامها
هذه السفين معدة لرواحكم
في ليلة طخياء عم ظلامها
يوما بمسقط تائهون ، وتارة
في الهند ، أرض الرافدين ختامها

وحين عاد من منفاه بعد سنة ، استأنف التدريس في دار العلم والتربية ، ولكنه بقي على عهده ، لم يفتر ، ولم تهن عزيمته ، فكان الناس يسمعون صوته المدوي في كل مناسبة وطنية أو قومية . فقد رزح وطننا ربع قرن تحت نير الاستعمار ، وعاصر شاعرنا هذه الفترة كلها ، ووعاها أيما وعي ، وحمل عبأها على كاهليه ... شهدها فتى يافعا نضير العود ، وصاحبها بقلبه وروحه:

خمسا وعشرين شهدنا بها
صحائف الفتك ولم نخضع

ففي يوم ميسلون استشهد القائد يوسف العظمة الذي تجسدت فيه كل معاني البطولة والتضحية والفداء فنظم الشاعر في هذه الذكرى الموجعة قصيدة يمجد فيها تلك البطولة ، ويأسى على ما جنته الامة من أسى وكدر :

قضيت ولكن حميد البلاء
فأبقيت فينا جليل الاثر
وجدت الحياة على طيبها
مع القد ليست حياة تسر

مضت سنوات ونحن نحن
الى صبح يوم به نفتخر
وبعنا النفوس لنيل المنى
فلم نجن الا الاسى والكدر
ومهما لقينا فان المنى
ستعطي مقادتها من صبر
أحامي الذمار ، وكم من زعيم
أضاع الذمار غداة الخطر
اذا الربع باهى بأشباله
حبتك وسام المعالي مضر

وبقي لميسلون في نفسه أثر ، يذكرها في كل مناسبة فعندما رثى صديقه الشاعر بدر الدين الحامد سنة ١٩٦١ كان مما قاله :

شجيت لميسلون ، وميسلون
لنا الجرح المعطر والملاب
اذا تموز أقبل ساورتنا
به ذكر مواردهن صاب

واستمر عمر يحيى يرثي أبطال الثورات وشهداءها من قبل ومن بعد ، كالطبيب صالح قنباز ، وخالد الخطيب ، وسعيد العاص ، وبعض الطلاب الذين سقطوا صرعى برصاص الفرنسيين في حلب .

ولشد ما أحزنه في هذه الفترة وضع اللواء السليب، وحز في نفسه ما رآه وسمع به من مؤامرات وغدر ، ومن ائتمار السلطة الفرنسية برجال الحكم وانسلاخ اللواء من البلاد ، وتحول الشعب عن الحكومة ، وقيام المعارضة ضدها ، وظهور بوادر الكفاح الطبقي ، فقال :

بكوا فقد اللواء لنا رياء
وهم طعنوا البلاد وضيعوه
أبعد الثورة الحمراء يرضى
بنونا ان يفارقهم بنوه ؟
أفيقوا ان يضع فلسوف يأتي
زمان فيه يتلوه أخوه
اضاعوه لكي تبقى الكراسي
فيالدم يضيعه ذووه

★ ★

ومع جراة عمر يحيى في قول ما كان يقول ، فانه كان يلجأ احيانا الى اسلوب آخر يقوم على التعريض

---

(١) أوال : اسم للبحرين .
(٢) كان مع الشاعر صديقه المرحوم عثمان الحوراني .

والتلويح والرمز ، وفي ذلك بلاغة ما بعدها بلاغة ، ومتنفس اي متنفس .

فهو يرمز مثلا لسورية باسم (ليلى) محبوبة قيس، في قصيدته (ذكرى شهداء ايار) التي نظمها سنة ١٩٣٠ فيقول :

ايه ليلى ما دام فيك ابي
مستميت ، فلن يضيروك ليلى
ان نفاخر بمثلهم فبحق
ان نباهي بمن تسامى وابلى
او نكلل بالغار راس عظيم
فجبين الشهيد بالغار اولى

وعلى غرار رمز شفيق جبري الى ديار الشام والوطن بالظبية في قوله :

يا ظبية عرضت لنا بالوادي
حيراء تحذر وثبة الارصاد
طوت البطاح وما أوى لمصابها
بين الاباطح رائح اوغاد
ضاقت بها فلواتها فكأنما
ضربت عليها الارض بالاسداد

وهناك متنفس آخر للشاعر : انه الطبيعة الحية والصامتة ، يبثها نجواه ، ويجد في آفاقها المديدة ما يعينه على التنفس بعمق ويريح اعصابه المتوترة المستوفزة . واي شيء اولى بذلك من العاصي ونواعيره ، وما بينهما وبين البلاد من انسجام في البكاء والنواح ، وفي الدموع والالم ؟ لنستمع اليه في قوله :

وشجون العاصي تجل عن الوصف ـ
اذا ما خام الحزين وملا
لو ترى روضه تجلبب حزنا
وتولى آرامه ما تولى
أو رايت الجماد يشكو انينا
بدموع ، والربع يندب ثكلا
لتيقنت انه ثابت العزم
وفي لن يألف الدهر غلا

وتارة يتخذ من مناجاة الطير سبيلا الى اظهار ما تجيش به نفسه من مشاعر وطنية ،ومن ا جمل ما قاله في هذا المعنى قصيدة بعنوان (شاعر الطبيعة) ومنها :

ليت شعري أأنت ياطير عان
تتغنى بنبرة وسكون
أم تبكي أليفك المتردي
بعد ثوب الهناء ثوب المنون
أأصاب الاخدان اظفار باز
فأثارت ذكراهم للشجون ؟
أم تولت وكون قومك ريح
تركتها تنهار بين الحزون ؟

وللشاعر متنفس آخر كان يتاح له فيه الافصاح عن شعوره الوطني وافكاره المؤرقة . فكثيرا ما اقيمت حفلات لتأبين رجال البيان والفكر ، او اساطين السياسة والشعر ، او لتكريمهم والاحتفاء بهم ، فكان عمر يحيى يهتبل أمثال هذه الحفلات للقذف بقصائده ذات المنحى الوطني .

قام الفوج الكشفي بدار العلم والتربية سنة ١٩٢٥ بزيارة كشافي حمص ، وركب افراده متن الطريق بين حماة وحمص سيرا على الاقدام مدة ليتلين . وفي الطريق نظم الشاعر قصيدة ، القاها في حمص لدى الاستقبال، وقد سيطرت النزعة الوطنية على تلك القصيدة ، حتى لا تجد فيها الا ابياتا قليلة تتحدث عن الكشاف . وقد بدأها بالمقطع التالي :

رويدك ان الدار ما قارفت ذنبا
فلا تألها ودا ولا تصلها حربا
أريت مهاها بدلت من بهائها
شحوبا فما لأت المصائب والكربا
سل الرسم ، اما ارتبت عن مجداهلها
يجبك ، والا فاسألن به الشهبا
ولولا خلال أهملتها ليوثها
لما أصبحت في دين عشاقها نهبى
لقد سال غرب الدمع رثيا لحالها
وما غاص حتى هاج في اثره غربا

وفي البحرين اقيمت سنة ١٩٣٠ حفلة في مناسبة ذكرى افتتاح (نادي البحرين الادبي) وكان الشاعر هناك ، فالقى قصيدة في النادي قال فيها :

نحن يا دار على ما نابنا
ثبت العزم لاعلاء الديار
نترك الجبن ونمشي قدما
وبدار المنتدى نجني الثمار
فمراد المرء سهل ان غدا
يبذل الروح ويهزا باليسار

ثم يشير الى ما فعله الفرنسيون ايام ثورة حماة سنة ١٩٢٥ حين هدموا النادي الادبي فيها ، ونهبوا كتبه ، وكان هذا النادي معقلا من معاقل الوطنية والتوجيه القومي ، فيقول :

هدموا النادي وغالوا أهله
فهم بين اضطهاد وحذار
عرفوا أن به نهضتنا
فرموه باصطلام وتبار
ان للباطل فينا جولة
ثم يأتيه من الحق العثار

وعندما مات الطبيب الحموي المجاهد خالد الخطيب سنة ١٩٣٣ ـ وكان ممن ناوأ الاستعمار الفرنسي بشدة أقيمت له حفلة تأبين ، وفي هذه المناسبة نظم شاعرنا عمر قصيدة قال فيها :

شباب الى ماضي العروبة طمح
وشيب ، اذا حق اللقاء ، شباب
يهددهم ريب الزمان ، ولو غدا
مهارتهم لاستصغروه وعابوا
تساوى ـ وقد كان الحبيب حماهم ـ
بعاد وقرب كي يعز جناب
وما ضر ليث الغاب مثواه نازحا
فكل مكان ، فيه ينزل ، غاب

فاذا استقل القطر العربي السوري بعيد الحرب العالمية الثانية ، وجلا عنه المستعمر الى غير رجعة ، كانت فرحة الشاعر عارمة .. لقد هلل لعيد الجلاء ، وغني قصيدة تعد من روائع الشعر العربي . ومن أولى منه بهذه الفرحة التي انتظرها سنوات عجافا ، رأى وطنه خلالها يجابه الألاقي والنوازل ؟

بدأ قصيدته بمطلع عذب ، وفرح منفعل راقص :

شق جيب الليل عن بيض الاماني
فاخفقي ياراياتي بين المغاني
واشمخي فوق السها رفافة
انه صبح سرى سامي المعاني

وختمها بأعراس العلا ، وافترار المنى عن الجمان :

الحمى جن بأعراس العلا
والمنى افترت سرورا عن جمان
مهرجان رفرفت راياته
أين من الحانه عزف القيان ؟
بسم الدهر له وابتسمت
أمة ثكلى برد الصولجان

وفي أيام الاستقلال والحكم الوطني لم يكن عمر يحيى ينسى وطنه الشامخ في كل مناسبة ، ولا يني يذكر مفاخر هذا الوطن ، وما سجله أبناؤه الغر الميامين في صفحاته من مآثر الاعمال وجلائلها ، ولا سيما حين يرثي الشاعر بعض أصدقائه من الادباء والشعراء . من ذلك قوله سنة ١٩٥٩ في القصيدة التي رثى بها صديقه ورفيقه في المنفى عثمان الحوراني :

وطني تنبت المكارم فيه
ويموج النضال في أصلابه
شيدت صرحها عليه المعالي
واستقر الالهام في أجنابه
وطن أجلبت عليه الاعادي
وتصدت ترميه في أطيابه
كلما خضبت ثرى من نجيد
هب ثان يجري على أعقابه
والشباب الوثاب ينهض للثأر
ويأبى غير العلا في وثابه
فهو آنا مزمجر يرفض الذل
وطورا يلج في اضرابه

أما فلسطين فقد كان لها ولمأساتها في شعر عمر يحيى ونفسه مكان أي مكان ، ونصيب أي نصيب . لقد غرس أمانيه في قدسها طالبا ينهل من موارد العلم في الكلية الصلاحية ابان الحرب العالمية الاولى ، فهي مجلى عينيه ومسرح فتوته وشبابه الغض ، ولم ينسها في أية

لحظة من لحظات حياته ، فكان يراقب عن كثب مايجري فيها على الايام ، ويعيش مع أحداثها ، بل كان من السباقين الى تسخير ماله وشعره في سبيلها ، فرثى شهداءها، وتحدث عن نكباتها المتتابعة، وبطولات ثوارها وكان من أوائل قصائده فيها قصيدة بعنوان (شهداء فلسطين الاول) قالها سنة ١٩٢٩ يرثي فيها فؤاد حجازي ومحمد جمجوم وعطا الزير ، الذين أعدمهم الانكليز تحيزا لليهود ، على أثر حادثة موقع (البراق) في القدس . ونفذ حكم الاعدام بالابطال الثلاثة على التوالي بدءا بفؤاد حجازي . وكان المقرر رسميا أن يكون الشهيد عطا ثانيهم ، الا أن جمجوما حطم قيده وزاحم رفيقه فسبقه حتى فاز ببغيته . وكان لهذه الحادثة الرهيبة أثر في نفوس العالمين ، وقد هاجت كامن ثورة الشاعر عمر ، فقال قصيدة خالدة ، منها هذه الابيات :

يامأتما فيه العروبة تنثني
كلمى ، يعاودها الاسى فتميل

قد سجلت فيه العدالة أنها
ظلم ، وان لم يجدها التسجيل
تلك الضحايا لم تكن الا صوى
فيها لطلاب الحياة دليل
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى تروع قذائف وصليل
ما كانت الشهداء رائد أمة
وتعددت الا دنا المأمول
فليمش الاستعمار في تعذيبه
فاليوم أقرب والزمان كفيل
ومن الغريب بأن تكون حقوقنا
بطلا ، وباطل غيرنا مقبول

كما كانت قصيدته (ياطير) التي نظمها سنة ١٩٣٢ من أوائل الصرخات القومية وقد تناقلتها الصحف والمجلات ، وتناولها الدارسون في البلاد العربية بالتعليق والاعجاب ، وفيها يقول ، مشاركا تلك البقعة المقدسة مأساتها ، وممجدا بطولات أسودها المقاديم :

ياطير ، في القدس لنا اخوة
أضحى حماهم نهبة للذئاب
والمسجد الاقصى له رنة الثكلى
تنادي للعذاب المذاب
معاهد كانت مراد الصبا
ومنزل للمجد رحب الجناب
أسود خفان حموا حوضها
بهمة وثابة واحتساب
باعوا دماهم في سبيل العلا
فأصبحت عندهم كالخضاب

وهو في كل مناسبة يذكر فلسطين ، ولا يغيب عنه ما تعانيه من ويلات وعذاب على يد الانكليز وحلفائهم ، الذين يتغنون بالوفاء وهم الناكثون ، وينادون بالحرية وهم السفاحون ، فلم يذق قلب شاعرنا طعم الفرحة الكاملة حين نالت سورية استقلالها واحتفلت بعيد الجلاء لان جرح فلسطين ما زال ينزف دما . ولذا سمعناه يقول في قصيدة (الجلاء) التي سبقت الاشارة اليها :

وطر مافيه من عيب سوى
زفرة الضرغام من عسف الهوان
مهد عيسى يعبث الغدر به
ويحد الظلم ناب الثعلبان
أين من عيني نفوس حرة
ما يقاسي من أذاه ويعاني
أصبح البوم به مستنسرا
وغدا الليث صريع الظربان
يافلسطين ، بما يرضي العلا
سوف نرضيك، ومايرضي التفاني
لك في كل فؤاد خفقة
وعيون يعربيات رواني
أنت تاج العرب ميراث دم
يونع الثورة في الانفس ، قان

ولشد ما كان يثور ويستنكر وهو يسمع أصواتا تفخر بالماضي المجيد ، وتظن أن تحقيق الاماني يقتصر على هذا الفخر ، أو حين يرى العرب متنابذين ، وهم مع تنابذهم وتفرق أهوائهم يرجون شفاء الداء وانهيار معاقل العدو الصهيوني وحصونه ، فيقول سنة ١٩٦٢ :

فلسطين رعت منا صبانا
وغذانا بها (الاقصى) الطعين

غدت شلوا يمزقه الاعادي
ذئاب الغرب ، والسقط الجبين
ونحن ، على تنابذنا ، نرجي
شفاء الداء ، قد أشفى الضمين
متى نزجي الى الاعدا رحانا
فتنهار المعاقل والحصون
وهل بالغابر المحمود نسمو
اذا ما خيب الامل الجنين
ضمانا يابطاح القدس ، انا
على أسلاتنا يحيا العرين
أطار النوم عرض مستباح
وساجعة أطاف بها الخئون

كان الهم الاكبر لدى عمر يحيى هم وطنه ، قبل الاستقلال وبعده ، وهم فلسطين قبل النكبة وبعدها . ولو أنه اقتصر على ذلك لما كان ملوما ، بل كان به جديرا الا أنه لم يرض بالدائرة الا واسعة ، وبالمطمح الا قوميا مشتركا . انه لم ينس أمته العربية جمعاء ، وما عانته وتعانيه من صعاب ، وما تلقاه من كيد الاستعمار وتكالبه عليها ، فكان يقف عند ذلك كله ، مصورا ومعبرا ، وراسما الطريق الامثل ، لانه كان يطمح الى وطن افسح ، واعتبار البلاد العربية واحدة في وطنها الاكبر ، يجمعها الشعور بالقومية العربية ، واستحكام الاواصر المعنوية بينها . وبذلك كان شاعرنا عمر من حداة هذه القومية وسدنتها وهو لا يترك سانحة تمر الا انتهزها للاشادة بمقوماتها وبالروابط المتينة بين الاخوة العرب على مدى الازمان وتعاقب العصور .

ففي حفلة تأبين شاعر طرابلس الكبير سنة ١٩٣٣ (عبد الحميد الرافعي) ينشد الشاعر قصيدة تتجلى فيها نزعته القومية الواسعة ، ولا سيما حين ينوه بالآلام المشتركة بين البلاد العربية ، التي هي جسم واحد فاذا ما أصاب الداء عضوا منه ، تحركت له سائر الاعضاء بالشكوى والبوح . يقول مخاطبا ابناء طرابلس الشام :

فياساكني الفيحاء وقع مصابكم
بنا وبكم ، رغم المفرق ، يقدح
ونحن ، على ما نالنا من نوائب
نحن الى لقياكم ، ونوضح
وانتم اذا العاصي أصيب بنازل
غضبتم له أسدا عن الذل تسنح
اذا ما أصاب الداء عضوا تحركت
له سائر الاعضاء تشكو وتشرح

وحين أقيمت سنة ١٩٤٧ حفلة في ثانوية المأمون بحلب لتكريم بعض اخوانه العرب ، في وقت كانت الاحداث العربية تتلاحق وتشتد ، قال أيضا :

جروحنا تتنادى وهي طافحة
تشكو على الدهر كف الغدر والنقم
اذا رمى أحدا منا الظلوم شكا
له أخوه نواحيه من الالم
قلبان ، جثمان هذا الشرق يجمعنا
ان كان في أمل أو كان في غمم

● ●

أما اللغة العربية فان عمر يحيى من حماتها ، كيف لا وقد رضع لبانها صغيرا ، وأتقنها يافعا ، ولبث على هواها في السر والعلن ، وثقف بها أجيالا عديدة ، فما أحراه أن يرفع لواءها ويحث على اعزاز شأنها ، ويشيد بمن نافح عنها :

ما لنجل العرب ، ان لم يحتفظ
بتراث العرب ، في الغرب اعتبار
لغة العرب أعزوا شأنها
ان في اعزازها نبذ الاسار
لغة القرآن شيدوا صرحها
فبها العيش ، والا فالدمار

واللغة العربية من أقوى الروابط بين العرب ، وهي وشيجة ثابتة أمام الاعاصير التي تكتنف أبناءها :

ونحن مهما يفرق جسمنا غدر
عند الحفيظة ، في الفصحى ، ذوو رحم
وشيجة طالما رام العدو لها
قطعا ، فردته في خسر وفي ندم

ذلكم هو شعر عمر يحيى الوطني والقومي ، وهو الجانب الاكبر فيما نظم . ويكاد يجاريه في ذلك غرض آخر بارز ، وهو شعره الوجداني الذي يطل عليك من ثنايا قصائده ، مستقلا بها تارة ، وممزوجا بغيره تارة اخرى .

ان شعره الوجداني صورة لنفسه ، في جراتها وانفتها وفي مثاليتها وتواضعها . عرفه الناس مؤثرا للعزلة ،

زاهدا في الشهرة، قانعا بما اتخذه لنفسه من مبادىء ومثل نالت اعجاب عارفيه . وهو حاد المزاج اذا دعا الداعي ، سريع الغضب ، ولكنه سريع الفيئة والرضا ، سخي ندب حاضر البديهة رهيف الاحساس .

صورته هذه وسجاياه تلك ، تطل على قارىء شعره أيضا وسيرى فيه المزيد من الملامح والشمائل . يقول خدنه وصديق عمره قدري العمر في تقديمه لديوانه : « قد استلهم شعره من ينبوع خصب من الوحدة والعزلة والوحدة مسكن يلتقي فيه الشاعر بنفسه ، فينطلق خياله وراء مشاهد صافية لا يواريها عنه حجاب ، ولا سحاب ، ولا ضباب . فيمضي في عرضها على بصيرة محيطة جامعة ، في أسلوب اذا تحدث عما يستوحيه منه قال :

عاد الى شيطانه هازئا
بهذه الارض وغيلانها
يسكب ما شاء له فنه
من متع الروح وألحانها
صمت الدجى يلقيه في غمرة
من روعة الذكرى وألحانها
يرى شعاع الامن في قفرة
يلذ منها عزف جنانها
ان ضاقت الارض بأبنائها
رمته في طيات شطآنها

ويكاد يجمع عارفوه على أن في طبيعته الانطواء والعزلة والانكماش عن الناس . وشعره يصدق ذلك ويؤيده . فالحزن العميق يحوط هذا الشعر بسياج كثيف ، والانين والاسى يطلان عليك من جميع قصائد الديوان ، حتى سماه مارون عبود « شاعر الكآبة والحرمان »(1). ومما قاله في ديوان « البراعم » : « قوام هذا الديوان أنات محروم قلما رأى يوما أبيض ، فهو رهن الشكوى والرثاء كما وصف نفسه »(2).

ومن أوائل ما نظمه من وجدانياته قصيدة نظمها وهو في الربيع الثالث والعشرين من رباع حياته ، وافتتح بها ديوانه ، وعنوانها (الشاعر) . وهذه القصيدة تصوره خير تصوير ، وتلخص نفسه تلخيصا مكثفا مركزا جامعا ، حتى كأنه نظمها اليوم ، لا قبل نصف قرن من الزمن . وفيها يقول :

قضى ساهدا تستنجد الدمع عينه
وترعى عيون النجم ، والقوم نوم
اذا ما بدت أهواؤه خلل الدجى
تصيد منها ما يسر ويؤلم
يطير على حكم الاماني كأنه
ذوابل أوراق بها الريح مغرم
ويتبع تغريد الطيور كأنه
يقاسمها من شجوه اذ ترنم
تجشم تحصيل السعادة قلبه
وهيهات ، ضل الحظ من يتجشم
فلم يبق من تلك السعادة والمنى
سوى زفرات ، عن أساه تترجم
يرى الشعر روحا في الحياة وراحة
فيبدي به بعض الذي كان يكتم

أرأيت الى هذا السهد الملازم ، والتلذذ بالالم والشجو ، واليأس من نشدان السعادة ، التي لايقبض منها الا على زفرات تترجم عن أساه ، فلا يجد الروح والراحة الا في الشعر البائح المعبر ؟

كل ذلك لازمه منذ الشباب ، وكأنه صديق مخلص يشتاق الى الشاعر ولا يصبر على فراقه ، بل ان الشاعر نفسه هو الذي يهيم بالاشجان ، ويستدعي الكآبة التي خصها بقصيدة منفردة في (براعمه) ، حتى يجعلك تشعر أن همومه مرقسية ، ولياليه نابغية ، ليس صباحها — اذا انجلت به — بأمثل منها :

فؤادي لا تبارحه الشجون
وآلامي اذا غربت تبين
فلا قلب يغني بالاماني
ولا سلوى تخف بها الشجون
كأن الهم يعشقه فؤادي
ويبغضه السرور ولات حين
اذا شهد القرين طويل صمتي
وحزني ، رابه مني السكون
ولو أني استطعت سررت نفسي
ولكن ما أريد بنا يكون ...

(1) على المحك ١٣٣
(2) على المحك ١٢٥

هـذه النظرات اليائسة ، وتلك الخواطر القاتمة لازمته طوال حياته ، حتى أصبح يحب تقلب الاحوال، لانه يختزن فيها ذكرياته الموجعة :

اليس تقلب الاحـوا
ل ذا فضل على روحي ؟
يحول حزني الماضي
الى ذكرى بما يوحي
الى ذكرى ألـذ بها
وتصرع يأس مجروح

فما سبب ذلك كله ياترى ؟ وما تعليله ؟

في رأيي أن هموم وطنه وأمته هي التي أيقظت فيه هذه المشاعر الكامنة وهاجت أوارها ، بل زادته اشتعالا ولهيبا ، وأورثته همومه الخاصة ، وزادت كآبته كآبة، فكانت ضغثا على ابالة . وفي شعره من الشواهد والادلة ما يؤيد ذلك تأييدا قويا لا يقبل الجدل .

فمن أحب القصائد الى شاعرنا : قصيدة نظمها سنة ١٩٢٦ أي بعد الثورة السورية بسنة واحدة ، عنوانها (بين الحاضر والماضي) ، ومنها قوله :

مهلا عليك فما بنا طرب
ان الفؤاد ، لما عرا ، يجب
الدار كانت روضة أنفا
أضحت وليس لاهلها نشب
سرعان ما حالت معالمها
منكوبة ترمى فتلتهب
وجنانها تشكو الخريف ، وهل
شكوى الخريف تفيد من نكبوا ؟

ويقول من قصيدة نظمها سنة ١٩٣٠ في ذكرى شهداء أيار :

حالفتنا الاحزان حتى حسبنا
أن سوى الحزن لن نلاقي خلا
عبرات من الجفون مرتها
زفرات على الفخار المخلى
وخطوب متلوة بخطوب
تعترينا رغم التجلد سجلا

ومن دواعي كآبته وحزنه أيضا ما يراه من تنكر الناس وغدرهم ، وما يأباه طبعه المثالي من وسائلهم الرخيصة الى منافعهم واوطارهم ، حتى فقد ثقته بكثير منهم ، وعاش معهم في غربة نفسية :

عييت بالناس أمرا كلما طمحت
نفسي الى عطفهم قصرت عن أمدي
أبدي لهم ماحوى قلبي، فأرجعلا
سري حفظت ، ولانالت مناي يدي
ان يبدؤوني بالشكوى بكيت لهم
وان شكوت اليهم عدت بالكمد
قد انطويت على حبي لهم، وهم
يجزون حبي بالايذاء والحسد

فالناس كلهم ناس، من أيام امرىء القيس وأبي فراس حتى أيام أبي طريف عمر :

ـ كذلك جدي ما أصاحب واحدا
من الناس الا خانني وتغيرا
ـ بمن يثق الانسان فيما ينوبه
ومن أين للحر الكريم صحاب
ـ في رياض العاصي ندامای هاموا
ونسوني ، وما نسيت الحقوقا(١)

وفي مثل هذه الحياة المجدبة اذن يكون الصديق الوفي كنزا ثمينا لا يفرط فيه ، فاذا اختطفته المنون ضاع صواب الشاعر ، وفقد صبره ، وكان المصاب نازلة تتفطر لها الجبال ، وهذا تعليل ثالث لحزن عمر يحيى الدائم وشكواه الموجعة ، لان هذا الداء الدفين ما يلبث أن يتجدد ما دام في الدنيا موت يختار الجواهر فيما يختار :

أخلاء الصفا عني تواروا
تباعا ، فالفؤاد أسى ضمين
اذا طالعت ذكراهم أبى لي
لذيذ النوم عادية زبون
أخي ماالعمر ؟ ماالماضي ؟ وانى
تفرقنا سبا ؟ أين القطين

(١) البيت الاول لامرىء القيس ، والثاني لابي فراس الحمداني، والثالث لعمر يحيى.

هذه أبيات قالها في قصيدته التي رثى بها صديقه الوفي قدري العمر ، ومثلها يتردد في رثائه لخلص أصحابه واخوانه الذين تعاقبوا على ورد الحمام : كأمين الكيلاني وابراهيم العظم ، وعثمان الحوراني ، وبدر الدين الحامد وقدري العمر ، وغيرهم ...

وفي حديثنا عن شعر عمر يحيى الوجداني ، لا بد أن نمر بغزله الذي ملأ ديوانه ، والذي نستشف من ورائه نزعة عمرية «ربعية» ، انه كسميه عمر ابن أبي ربيعة شاعر الهوى والحب والجمال ، وكأنه موكل بذلك كله. وشعره ينبىء أن صاحبه كان في أوائل حبه الوليد يكتم هذا الحب ، ويمنعه وقاره المبكر أن يصرح به لمحبوبه ، على الرغم مما يقاسيه من سهد وأرق :

اذا لاح لي أنسيت ماكنت أشتكي
على أنني ، من أن أصرح ، أوقر
وسهد جفني حين نامت عيونه
فياليته عما أقاسيه يخبر

ويظل هذا دأبه ، ممنوع الرقاد ، يحن الى المحبوب ويتمنى أن يزوره طيفه ولو في المنام ليشكوه اليه ، ويجد النصرة عنده :

يا من منعت رقادي
قد حرت فيك بأمري
ما ضر طيفك وهنا
زيارتي وهو يسري
أشكو اليه شكاتي
وابتغي منه نصري

وقد أتيح له أن ينعم بلقائه بعد حر البعاد ولوعة العتب ، في فرص ذهبية سانحة ، ولكن الدهر لم يغفل عنه ، فأبدله بليالي الانس ليالي الوحشة وتجهم له ، فراح يأوي الى ذكرياته بعد أن مزقت قلبه كف النوى والهجر ، وبقي على هذه الحال حتى كاد يضيع عقله ، فقال بعنوان (مجنون) :

يقولون لي : أنت مجنون فقلت لهم :
هذا جنوني فيمن لا يحييني
قد عاش قبلي قيس وهو ذو وله
بمن يحب بلا عقل ولا دين
كم من معنى أضاع العقل في رشأ
يختال في حسنه بين الرياحين
قالوا : جننت بمن تهوى فقلت لهم :
أجل ، فيا حبذا عيش المجانين

وأخيرا تمرد على ذل المحبة ، وأعلن العصيان ، وأخفق حبه (بكسر الحاء) في ايقاعه ثانية بشباكه ، على تعدد أساليبه في الاغراء : من سلام أو رشاقة حلوة ، أو بسمة محيية للامل ، أو نظرات ولفتات . ولكن الشاعر برىء من الحب ، واطمأنت نفسه ، ولم يعد يستعصي عليه النوم :

ذل المحبة صرت أكرهه
مما لقيت عناء مضطهد
لا ناقتي في الحب ، لا جملي
لا عاذلي أخشى ولا سهدي
ودعت نجم الليل من زمن
وبرئت من ارجاف ذي الحسد
ودعوت نومي فاستجاب ، وكم
ناديته جهدي فلم يعد

هذا هو غرام الشاعر ، بدءا ونهاية ، في المرحلة الاولى من حياته ، مرحلة البراعم وهو على أبواب الكهولة فماذا بعد ذلك ؟

يبدو أن توبته لم تكن نصوحا ، وأنه عاد يحب ذل المحبة ، ويخشى العاذل والسهد ، ويألف نجم الليل ، ونومه لم يعد يستجيب له .

لقد استفتح أول سنة من مرحلته الثانية عام ١٩٣٧ بنداء حبيبه بعد أن وافى الربيع ، ودعاه الى خلع العذار ومبادرة الحظ قبل حلول الشيب ، جلباب الوقار ، فقال :

يا حبيبي قم فقد وافى الربيع
وتغنى في حمى الغصن الهزار
يا حبيبي دمية الفن البديع
ليس يروينا سوى خلع العذار

فلنبادر حظنا قبل الهلوع
وحلول الشيب جلباب الوقار
قم الى الكأس ولا ترض الخضوع
فلذيذ العيش لهو وعقار

ولبث بعد ذلك يتبع الجمال موكلا به ، ويجري مع اللهو طلق الجموح ، يطيب له الرشف واللثم والنظر ولا يطيق الصبر عن ذلك ، بل بقي قلبه يخفق بالحب ، وعاد اليه السهاد والارق ... حتى اذا أصبح في ذروة السبعين أخبرنا أن قلبه ما زال فتيا ، ولم يرو من الهوى ولم يمل من الحديث عن الماضي الغابر ، ويكفي أن يطل عليه وجه جميل حتى يذكره بماضي هواه . وهذا ما أعلن عنه في قصيدته (هواي الصبي) حيث يقول :

وما زلت مني هواي الصبي
فلا تحسبيه هوى القلب
فيا خفقة القلب ان تأرني
ويا بهجة الروح لا تغضبي
عرفتك قبل أوان المشيب
مشيبي ذنبي ولم تذنبي
فهاتي حديثك عن غابر
لذيذ الاماني مستعذب

● ●

ويأتي الوصف في مقدمة الاغراض البارزة في شعر عمر يحيى ، بعد الوطنيات والقوميات والوجدانيات ، وينصب وصفه على ما تقع عليه عيناه أو ينفعل به . فقد وصف حماة : قلعتها ، وعاصيها ، ونواعيرها ، كما وصف الخريف والربيع من الفصول ، وأعجبته متنزهات أنطاكية ، ولا سيما دفنة وشلالتها الفاتنة ، فوصفها أحسن وصف وأبدعه .

وهذه الاوصاف كلها تنطلق من مرتكز واحد ، هو حب شاعرنا للطبيعة وهيامه بها ، وافتتانه بسحرها ، وهذا ما عبر عنه بقوله عن نفسه :

له كلف بالزهر في الروض والربا
فبالورد مغرى ، والخزامى متيم

وحماة هي أم الطبيعة الخلابة ، التي طالما تغنى بجمالها قدامى الشعراء ومحدثوهم ، يقول فيها :

حماة تسامت بالجمال فلا ترى
بها غير روض ناضر وكثيب

لها حلة الطاووس حسنا وبهجة
يحق لها اعجاب كل طروب

اذا ما تراءت فوق أغصان دوحها
حمائمها تزهى بكل قشيب

حسبت بأن الورق جادت بطوقها
عليها فخصتها بخير نصيب

وصفق ماء النهر حتى كأنه
مدام تولاها بنان خضيب

وشادية العاصي تردد لحنها
فتبعث في الارواح سحر نسيب

وهو لا يكتفي بالوصف الموضوعي الذي يقوم على التحديق في الشيء والاحاطة به ، ووصفه وصفا مجردا من شعوره ، بل يسحب شعوره هذا على الموصوف ، ويتأمله ، ويعتبر به ، فيكون الوصف مشوبا بظلال العاطفة الشخصية . فها هو ذا يقف في روضة هبت عليها ريح حارة ، فيصفها ويعتبر بما أصابها ، من عري الادواح ، وذبول الورود :

ياروضة أعين الرواد ترعاها
أتيتها راغبا في شم رياها

ما بال أدواحك اللاتي تظللني
غصونها تشتكي للعري بلواها

ووردك الغض أضحى بعد نضرته
يزجي من الريح آها والبلى آها

كما أنه يغبط ساكن الغاب على حياته النقية الصافية . والغاب هو ذلك العالم الذي تتلاشى فيه ثنائيات الوجود من خير وشر ، ونور وظلام ، وسيد ومسود ، وتتحد عناصرها المتنافرة في عالم رمزي خلقه أدباء المهجر لانفسهم . فيقول في أوائل الثلاثينات من هذا القرن :

ياساكن الغاب ذق ماشئت من فرح
فالطير والنبع والاشجار قد جمعا

داعب صداك ويمم شطره، فاذا
أخفقت فالظل يكفي طامعا طمعا

طبيعة الله أحيت فيك بهجتها
فالزم حماها، فما راءكمن سمعا

أخلت فؤادك من غل ومن حسد
فغن كالطير في ظل الندى سجعا

وفي شعر عمر يحيى جوانب اجتماعية ، ولكنها قليلة اذا قيست الى أغراضه السابقة . فقد قال الشعر في الام ، والمدرسة ، والمعلم ، والعلم ، واليتيم ، وبعض هذا الشعر ذو طابع قصصي .

ومن شعره الاجتماعي لون طريف يقوم على المطارحات الاخوانية المرحة التي تتجلى فيها روح المرح والدعابة وخفة الفكاهة ، مع براعة في الصياغة تخفي وراءها موهبة شعرية مطبوعة . وهو ما يمكن أن نسميه (شعر المباسطات والمداعبات) . فان ما حضره عمر يحيى من مجالس الانس والسمر ، وما اشترك فيه من نزهات جماعية ومطارحات شعرية كان يملي عليه أن ينظم هذا اللون من الشعر الفكاهي الخفيف الذي تستحليه الآذن ، وتستلذه القلوب، لانه يجمع بين الخفة والرشاقة وبين الرقة والجزالة معا .

من ذلك ما قاله حين تزوج أحد أصدقائه ، اذ نظم قصيدة يهنئه فيها بهذا الزواج ، ويحذره في الوقت نفسه من عقابيله ، فجمع في تلك القصيدة بين التهنئة والتعزية ، وهي طويلة اقتطف منها الابيات التالية :

زواج بالسعادة يا حبيبي
وقاك الله من عقبى الزواج

تقضي شهرك المعسول شهرا
لذيذا بالتعابث والتناجي

ويأتي بعدها يوم تنادي
لعلي ساكن قن الدجاج

وسوف ترى مزاجك ياعزيزي
الى شهرين أهدأ من مزاجي

فتحمل سلة المطعوم ، فيها
من البطيخ مع لحم النعاج

وتحمل ما يريد البيت زيتا
أكان ، أم اللبان مع (الكماج)

اذا قضيت هذا اليوم حاجا
تجدد في غد أمر بحاج

فناج اليوم نفسك كيف كانت
حياتك قبل هذا اليوم ناج

اذا ماشئت بعض النصح مني
وتبعد عن مديح أو تهاج

فعش عزبا ، فان لم تستطعه
فضربا بالبوارق في الفجاج

●

لقد طالت وقفتي عند موضوعات شعر عمر يحيى ومضامينه ، بل عند ابرز تلك الموضوعات ، فماذا عن بعض خصائص هذا الشعر وأسلوبه فيه ؟

يبدو لي أن عمر يحيى شاعر غير محترف ، لم يتخذ الشعر صناعة أو عملا يوميا ، وانما كان يقوله تعبيرا عن نشوة تملأ جوانحه ، أو اشباعا لرغبة فنية تراوده ، أو تصويرا لصبوة نفس تقرع مكامن الحس عنده، وتستثير كوامن الفن لديه ، حين تدعو الحاجة الى ذلك ، وتتوافر بواعثه بين ضلوعه . فالناظر في شعره لا يكاد يعثر على قصيدة بلا مناسبة دعت اليها وساقت الشاعر الى النظم فيها . فلم يكن اذن هاوي نظم ، وانما كان شعره نابعا من تجربة صادقة ، ومعاناة حقيقية للحوادث والدوافع وهذا ما جعل شعره في مستوى واحد من القوة والفن ، لا تفاوت فيه ولا تفاضل ، ولو كان يقول الشعر كيفما اتفق ، وفي كل حين ــ كالزهاوي والرصافي ــ لكان هذا الشعر مضطرب المقاييس ، متفاوت المنزلة ، لا يشد بعضه بعضا .

وهو الى ذلك شاعر بين الاناة والطبع ، فهو يقوم شعره بالثقاف ، ويعيد فيه النظر بعد النظر . كما أنه يسمح بالشعر ، ويقتدر على القوافي ، فتتبين على شعره رونق الطبع – على حد قول ابن قتيبة – ووشي الغريزة ، ولطف المعاني ، فكأنه الشاعر المخضرم شويد بن كراع حين يقول :

أبيت بأبواب القوافي كأنما
أصادي بها سربا من الوحش نزعا

أكالئها حتى أعرس بعدما
يكون شحيرا او بعيدا فأهجعا

أو كأنه عدي بن الرقاع حين يقول :

وقصيدة قد بت أجمع بينها
حتى أقوم ميلها وسنادها

نظر المثقف في كعوب قناته
حتى يقيم ثقافه منآدها

ومن هنا أجاد في أغراضه الشعرية على تعددها ، دون أن يكبو جواده في واحد منها . فلا يسهل عليه الوصف ليعسر الغزل ، ولا يتيسر له الشعر الوطني ليتعذر عليه الشعر الاجتماعي ، بل يواتيه طبعه ولايخونه اذا توفرت المناسبة . وبذلك انسجمت في شعره متانة بشار ، وحكمة المتنبي ، وعذوبة البحتري ، ورقة ابن زيدون ، وجزالة ابن هانىء ، ووصف ابن الرومي.. وقد تناسقت هذه المظاهر في شعره تناسقا جميلا ، وامتزج بعضها في بعض بحيث تكاد منابعها تفلت من أيدينا وتضيع علينا ، لان شاعرنا أكسب أسلوبه بعد ذلك طابعا خاصا به ، وكساه حلة عمرية تفرد بها .

ومن أمارات الطبع عنده أنه قلما يعود الى المعجم حين ينظم ، اذ تنثال قوافيه انثيالا عجيبا مهما كانت كلماتها صعبة أو غريبة ، أو كان بحرها آبدا شاردا . يساعده على ذلك كثرة محفوظه الشعري مما اختزنته ذاكرته الفنية ، ولهذا يتجلى في شعره شيوع التضمين لاشعار السابقين التي تفد على خاطره في أثناء النظم بلا تعمد أو تصيد ، بل تأتي عفوية لا تكلف فيها . كما يتجلى معجمه اللغوي ثرا يتدفق معينه في ثنايا ما ينظم ، فيصبح شعره معرضا لثقافته اللغوية وبيانه الاصيل ، وهي مزية يكاد يتفرد بها من بين معاصريه من الشعراء .

لنستمع اليه في الابيات التالية ، مطلع قصيدته عن (المتنبي) يتبين لنا صدق ماذكرناه ، وقد نظمها سنة ١٩٣٦ بمناسبة مرور ألف عام على وفاة المتنبي :

ولدته وهو الى العلاء يليح
فربا وشاب ودأبه التطويح

الارض مسقط جسمه ، ولروحه
أفق السماء وما يضم اللوح

هل صيغ من نغم البلابل مهده ؟
كلا ، ولا منه الورود تفوح

بل من اهاب الليل قد قميصه
صم الصخور مهاده والشيح

● ●

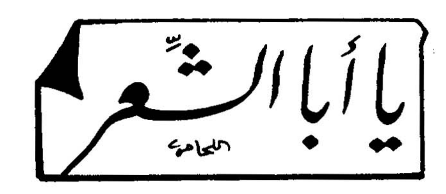
وبعد :

لقد غنى عمر يحيى الوطنية والعروبة – وهما من أشرف أغراض الشعر – فكان من حداتهما وسدنتهما ، كما غنى الحق والحرية ، والجمال والحب ، وديوانه سجل ، لا لآماله وآلامه وحسب ، بل لآلام جيل كامل وآماله . فهو الشاعر الشاعر ، الذي عاش في عصره ولعصره ، وعاش عصره فيه ، أيقظ وعي أمته فيمن أيقظ ، وأرهف حسها فيمن أرهف ، وأعطاها من جذوة صدره ، وعبقرية شعره قبسا تضيء به الحياة ، فكان له على أمته ووطنه يد سلفت ، ودين مستحق .

محمود فاخوري

مدرس بكلية الآداب – حلب





عدنان قيطاز

ما على الشعر ان تصباك سحرا　　　يخطر السحر كلما قلت شعرا
لك في دارة الجمال أغاريد　　　فتون كذائع الطيب نشرا
حملتها الصبا رسائل شوق　　　جن منها الضحى فغار وأغرى
هي في طهرها دعاء حبيبين　　　أسرا من المنى ما أسرا
يا نجي البيان غن لياليك　　　وزدنا فأنت بالشدو أحرى
في شفاه النجوم رجع أغانيك ‥　　　وهذي الربوع للروح مسرى
يغرق الحس في مفاتنها الزهر ‥　　　ومجلى السرور ما زال بكرا
تتهادى الظباء غير أثيمات ،　　　فتزهو خدا وتسطع نحرا
في ردائين من عفاف ودل　　　طوحت بالقلوب يمنى ويسرى

★ ★

كم ليال على الضفاف تقضت　　　تحت ظل الصفصاف ترقب فجرا
وليالي العاصي جمال وشعر　　　هن دنيا النعيم ‥ بل هن أثرى
نهر ذائب اللجين مطيع　　　ونواعيره تساقط درا
لست أدري ‥ أتلك جنية الليل　　　استحالت خنساء تندب صخرا
هينمات مدى الدهور شجيات ‥　　　ومستعبر يساجل عبرى
تتملى الاسماع نغمتها البكر　　　ولا تشتكي ملالا ووقرا
في حنايا ضلوعها ألف سر　　　غير أني ما اسطعت أكشف سرا

★ ★

يا أبا الشرد الحسان ترنم　　　وبأسرار ما مضى هات خبرا
ليلة الشعر ليلة القدر في العمر　　　نعيما ، وليلة المجد غرا
من صراع الافكار هذى التجاعيد　　　كتابا نتلوه سطرا فسطرا

وبيـاض المشيب اكليـل غـــار   من فخـــار ٠٠ بكـل أبيض أزرى
نبعـــة أنت مــن مكــارم قـــومي   ســـال شؤبوبها على الكـونغمـرا

★ ★

يابن يحيى ٠٠ وأين عثمـان يروي   من هموم البحرين والهند سفرا(١)
كنتمـا في النضـال تــوأم عـزم   لم تضيقا على الشدائـد صـدرا
رعتمـا دولـة الطواغيت في المنفـــــــى ٠٠ فساءت في العاقبـات مقـرا
ولبين الضلوع وقـدة نــار   مــن زنيـم ٠٠ اذا خبت تتـورى
لا ادعـاء ٠٠ فأنتمــا في الميادـيـــــن وريثـا مفاخـر الحمـد طـرا
ان يكـن في الخلود طـاب مقامـا   فلقـد عشت للعروبـة ذخـرا

★ ★

كيف تنسى الاجيال صنعك فيهـا   يـوم كان الحمى يبـاع ويشـرى
أنت ألبستهـا دروع التحـدي   موقنــا أن في المذلــة كفــرا
في رحـاب اللـواء طـابت مجاليــــك وكان اللـواء يفتر ثغــرا(٢)
عـربي دمــا وأرضــا ولكـن   أسلموه الى أعاديـه غـدرا
ولعمري منـابر العلـم تـدري   ما تـلاقي وأنـت ترهق عســرا
للمعـالي ونصـرة الوطـن الغالـــــي مساعي الرجـال ســرا وجهـرا
كلمـا جنـدل الطغــاة شهيـدا   وقف الشعر منك وقفـة ذكرى
(وطـن ينشـد الحيـاة وشعب)   أنـت أدرى بشجـوه أنت أدرى
تتحـدى جراحــه لهب الســـــــوط وأنفاسـه تصعـد حـرى
عاصفـات الزمـان لـم تلـو منـه   عزمــة صلبـة ووجهـا أغــرا
في رقـات الاحرار من عبـد شمس   صيـد ٠٠ هل يـلام من كانحـرا
نحن مــن غرسك الكريـم شبـاب   عبقري الـرؤى جـلالا وطهـرا
لم نهادن في زحمـة الخطب خطبـا   لا ٠٠ ولا ريـع سربنا حـين كـرا
قـد نذرنـا النفوس وهي غـوال   وخطبنـا الرؤوس نطلب ثــأرا
وجعلنـا الدمـاء مهـر جــلاء   وحفرنـا لقاهـر الشعب قبــرا

★ ★

مـرت الحادثات بيضـا وسـودا   ولـواء الشآم يختــال فخـرا (٣)
غـير أني لمحـت أشبـاح هــول   تتخفى حينـا وتظهـر أخـرى
انهـم مــن دم الغــزاة بقايــا   وبـأرضي فلـولهـم تتـدرى
أيهـا المترفـون يا مــن بشمتـم   أمن العـدل أن نجـوع ونعـرى ؟
كل مـا تشتهون ملـك هــواكــم   وسـواكم يمـوتبؤسـا وقهـرا
من دمانـا شـربتم ألـراح صرفـا   وشربنـا بعـد المريـر الامــرا
الغــلاء البــلاء حــل ثقيـلا   كـم علينـا مــن المصائب جـرا

عدتم منــه بالوفــير وعدنـــا　　يا لصرف الزمــان ٠٠ نلعق صبـرا
جشــع في نفوسكم ليس يهـــدا　　وابتــزاز لديكمــو ليس يهـــرا
لا تظنوا العفـــاة نامـوا طويـــلا　　فلقـد أبرموا مـع الليل أمـــرا
أنتــم داؤنــا الوبيــل وطب الشــــــعب آلى أن يحسم الــداء قســرا

★ ★

نحــن في عرينـــا نطــل على التـــــاريخ ٠٠ نستوطىء المجـرة كبـــرا
قــد ضفرنا من الضحايا سنــا المجـــــد وكنـا لوحـدة العـرب ظئـــرا
لــم تهن عزمـــة الشباب ولا الشيـــــب ٠٠ فيا موطن النبوات بشـرى
موكب النصـر قـادم مـن بعيــد　　راعـــد الجحفلين شـامـا ومصـرا
كل مـــن قـال بالسـلام غريـــر　　يا فلسطين ٠٠ غزوة الفتـح كبـرى
ليت قـدري وليت بــدر القــوافي　　قلـدا المهرجان شعرا ونثــرا (٤)
خــل يا ليت واستمع لفحـول الشـــــعر تشدو فيرقص الكـون بشــرا
لا تقولـوا انطـوى سجـل الميامـيــــن وضاعت ولايـة العهـد هــدرا
نحــن من بعدهم حماة لسـان الضـــــاد أعلى يــدا وأرفــع قـدرا
أرضعتنا (حمـاة) من لبـن الشعـــــر ومـدت لنـا الى الخلد جســرا
مــن جراحاتنـا لهيـب القـــوافي　　تتنـزى ضـراوة حـين تضـرى
أدعيـــاء القريض تجفـــل منــا　　ان ركبنـا الجلى وتنهـار ذعــرا
شعرنـــا العذب مثل منبجس الصخـــــر ٠٠ ولمـع السراب أوهـام سكرى
يحفـر النهـر أينمــا ســال مجــــراه ٠٠ ولكن لأيهـم كان مجـرى
عجمـــة في لسانهـم تكشـف الزيــــــف ، وزيف الطباع بـاد معـرى
نحن شمس (الاصيل) هل تلحد الشمـــس ؟ ونحن البحور مــدا وجـزرا
ان يكن في الحجـاز سـوق عكـاظ　　فلدينـا مواســم الشعـر تتـرى

★ ★

يا أبـا الشعـر والحـديث شجـون　　لا تلمـــه اذا عصى لـك أمـــرا
غربتـــه الآلام في غيهـب العمـــــــر ٠ ولكن مـا زال ريــان نضـرا
أنت علمتـــه نشيـد القـــوافي　　فمضى في الـذرى يحلق نســـرا
نصف قــرن وأنت تملي على الدهـــــر ويصغي اليك قلبــا وفكـــرا
صامتـا زاهـــدا بكـل جـــلال　　لست ترجو على المفاداة أجـــرا
لــك في ذمـــة البـــلاد أيــاد　　لــن نوفي جميلهـا اليـوم شـكرا

---

١ ــ عثمان الحوراني من رجالات التربية والنضال القومي ولد في حماه وتوفي فيها عام ١٩٥٩
٢ ــ لواء الاسكندرونة .
٣ ــ يصور هذا المقطع فئة مستغلة أثرت على حساب الشعب منتهزة فرصة انشغال الحكم الوطني في القضايا القومية الكبرى .
٤ ــ قدري العمر اديب حماه توفي عام ١٩٦٢ وبدر القوافي هــو شاعر العاصي بـدر الدين الحامـد تـوفي عـام ١٩٦١





سهيل عثمان

أول ما يلفت النظر في شعر عمر يحيى هو هذاالخمار الاسود الذي يبرقع كثيرا من شعره فاهـارات الحزن والكآبة وخيبة الامل تتردد متشاكية في شعرهووراءها يقبع الاعتقاد الدائم بأن كل شيء هش وقابل للزوال والتقويض بسرعة فما من سرور أو ربيع أو شباب أو مجد يدوم ، ان شاعرنا يلمح الشيب في الشباب ، والخريف في الربيع والموت في الحياة وتمتلىء نفسه بمرارة الخيبة وانقضاء الافراح

قد كنت أرجو أن أعيش ولي
في الشرب من خمر الهوى قدح
لم تحظى نفسي بالمنى زمنا
الا وغرب للمنى .. شبح

● ●

شجن ليس يرتجى ابلاله
وعذاب ادباره اقباله

● ●

أراني حائرا بين الاماني
وبين اليأس في أسر وسجن

وقد فسرت هذه الظاهرة حينا بأنها ناتجة عن شعوره بآلام أمته التي شب ونشأ على معاناتها وما زال يعانيها ، الا أننا يجب أن لانهمل دور العوامل اللاواعية في تكوين الشخصية وهي عوامل تبدأ عملها عادة منذ الطفولة وتقبع في أعماق النفس فعالة من غير أن يدري صاحبها نفسه بفعاليتها . فاذا حاولنا الكشف عن هذه العوامل اللاشعورية نجد أن شاعرنا أبا طريف عرف طفولة نموذجية في هذا الموضوع لانه فقد أبويه كليهما وهو لم يبلغ الرابعة بعد ويتذكر منهما بشكل غامض جسدين مسجيين ، ومهما كان عطف الاقرباء وتلاميذ أبيه الشيخ على هذا الطفل الحساس الذي كان أول ولد ذكر يعيش بعد أن مات لوالديه عدد من الابناء فان هذا العطف لن يزيح عن كاهل الطفل كابوس اليتم المزدوج

والحرمان السريع من أحدب مخلوقين عليه، وقد أضيفت الى آلامه الخاصة آلام أخته وأخيه . لهـذا يغدو مـن الطبيعي أن يلاحقه دائما شبح الزوال والخوف من ذهاب البهجة والعدل والهنـاء وحلول المقت والالـم والخراب محلها . بهذا أفسر شعوره بهشاشة كل شيء ، وبهـذا أفسر الكآبة المنتشرة في شعره بل لعلي لا أتجاوز حدود المعقول اذا فسرت بجرحه ذاك حبـه للاتقان وميله الى أن يتتبع كل صغيرة وكبيرة مما يعمل ومما يقـول حتى يأتي فعله كاملا أو شبه كامل اذ ما دام يعتقـد في قرارة نفسه أن مخلب الفناء سريع التأثير فاذا لا بد أن يتخـذ الاحتياطات التامـة في كل ما يفعـل كي لا يترك لقابلية الانهيار ثغرة تنفد منها ، ومن هنـا يأتي الجهـد الكبير الذي بذله في اعداد نفسه ثقافيا وجسميا اذ لم يكتفي بالدراسات الادبية وهو المختص بها بل اطلع على الجانب العلمي ولم يكتف بتراث قومه وهو المتمسك بهم بـل اطلع على الآداب الاجنبية وترجم بعضها في شعره سواء أكانت غربية أم شرقية، وقد قام بمجهوده الثقافي الضخم من غير أن ينسى العناية بجسمه ورياضته .

ومن المعروف عن استاذنا أبي طريف أنه أنيس وديع حلو الحديث الا اذا انتابه الهيجان وبشكل خاص هيجان الغضب فانه ينقلب ولو لفترة قصيرة كائنا آخر مبرقـا مرعدا ولعلي المح وراء هيجانيته هذه جرحه القديم ذاك الذي يجعله يتصور الامور آيلة الى التقوض اذا لم يفهم سامعوه مراده أو لم يؤدوا ما يتطلبه الفوز بالاماني مـن جهد مركز انه يثور لان نفسه تمتلىء بهذا الخوف الدائم عنده من الخراب وحلول الشقاء محل السعادة وهو في ثورته هذه يحتج على الطرف الآخر الذي أغضبه بـل يحتج بأجمعه وفي الوقت نفسه يتخلص من حصار ذلك العالم ولهـذا يعود بعـد الثـورة أكثر هدوءا ووداعـة مما كان قبلها .

ان غضبه وميله المتشائم لم يأتيا دائما من اللحظـة الراهنة بل ان اللحظة الراهنة يوجد فيها الوجهان المفرح والمحزن في أغلب الاحيان ولكن هموم الحاضر ومتاعبـه تدعمها طاقة الالم المستقرة منذ الطفولة في أعماقه .

ان أطـافت بربعـــه نـازلات
ضاعف الرزء والمصاب خيالـه

واذا كان الشعـور بالهشاشة والكآبة أول مظهـر يستخلص من شعره فان الظاهرة الثانية هي الاحيائية لا احيائية الطبيعة الموجودة لديه ولدى كثير من الشعراء بل أيضا ميله الى احياء كل قديم عزيز ودعمه وكأنـه يخشى على أعزته عوامل البلى من ذلك أنه أسمى نفسه « عمر يحيى » مستغنيا عن اسم عائلته مع أنهـا عائلة معروفة في الاوساط الثقافية متكنيا باسم أبيه الشيخ يحيى الفرجي احياء لاسم هذا الوالد عندما يقترن باسم ولـده . ومن ذلك أنـه يملىء شعره بالآيات القرآنيـة والابيات الشعرية القديمـة وأنصاف الابيـات والحكم والامثال السـائرة والاقوال الشعبية الدارجة على الالسنة والتي قد يكون ظاهرها عاميـا ولكن حقيقتها فصيحـا مثـل (شرواك) بمعنى نظيرك ومثـل (حصنته) بمعنى حميته وعملت على حفظه ... واعتقادي هو أن هـذه الاحيائيـة قائمـة هي ذاتهـا على جرحـه القديم وان ارتبطت بهموم حاضرة وبخاصة بهمه العربي فهو منـذ العشرينات من هذا القرن بل من قبلها من أنصار العروبة المتحمسين كثير الندب لمجد أمته الزائل كثير التنديـد بحاضرها شديـد الحملة على خصومها صريح النقـد للمقصرين في حقها مع دعوة دائمة الى الكفاح من أجـل اعادة أيامها المجيدة .

أمن التمدين أن يدافع ماجـد
عـن حوضـه فينالـه التمثيل
ومن الغريب بأن تكون حقوقنـا
بطـلا وباطـل غيرنـا مقبـول
تفرق القوم لا حزم ولا حـذر
ووازع الدين أعشى طرفه السهر
صرنا ضعافا وأعداء النفوس غدوا
كالنـار تمتـد لا تبقي ولا تـذر
أين الاخـاء وأيـن الاقتـداء
بماجاء النبي به والوحي والسور

وهو اذ يعرج على الدين مقدرا لقيمته الثمينة فانه يهتم بالجانب القومي الاجتماعي الاخلاقي منه فهو ينظر الى الدين الاسلامي كقرين للعروبة ورفيق في النصر ويعجب بأخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام ويتمنى أن تقتدي الامة بهذه الاخلاق فتخلص ويحسن أبناؤها العمل في سبيل قضاياهم كما يحسنون التعامل فيما بينهم ويتركون الانانية والمطامع والجحود السارية فيهم وأما الجوانب الاخرى من الدين فانها لاتظهر كثيرا في شعره كما أن ظواهر التمرد ذات الصلة قليلة الورود في شعر شبابه نفسه .

ولو أن هذا القيد ربك صاغه
لما أنب العاني بكفرانه الربا

ومن تمرده النادر على الاخلاق :

ان قيل اخلاق فهم
ما يقال وغش فن

ومما لا تخفيه شخصية عمر يحيى على كل متعامل معها أو باحث حولها الطبيعة الفردية لهذه الشخصية فشعره ثمرة قناعاته سواء أكان مجرد تعبير عن همومه الخاصة وتفريغ لانفعالاته أم كان موجها للآخرين وبشكل خاص أبناء أمته التي التزم بالدفاع عن قضاياها والحث على النضال في سبيلها وهو في سلوكه العملي فردي أيضا فقد عزف عن الانتماء الى التنظيمات الاجتماعية بعد التجربة والسبب في ذلك مالاحظه من سوء تصرف واستغلال لطاقة الجماعة من خلال العمل التنظيمي وهو بهذا يطرح على الاذهان مشكلة يبدو أنها لم تحل بعد وهي مشكلة موقف الانسان من العمل التجمعي فعلماء السياسة يرون أن الانجازات تحتاج الى الطاقة الناتجة عن الاعمال التجمعية في المنظمات ومن أجل ذلك تغتفر الاخطاء والانحرافات ان ظهرت في الجماعات العاملة في ميدان القضايا العامة ، وأما الفرديون الاخلاقيون فيرون أن العمل الذي لا يقوم على الاخلاق السليمة عمل فاشل وان كان عملا جماعيا وكل كسب يأتي عنه فهو كسب مؤقت ما يلبث أن ينتهي بفشل أعظم منه . واذا كان أبو طريف فرديا فهو قد فهم فرديته بشكل يرضي العلاقات الانسانية الصحيحة لقد فهمها فردية كريمة معطاء تؤدي واجبها وأكثر من واجبها وتحب العدل وتقف عنده وتهتم بسمعتها ولذلك ربأ بنفسه عن الانخراط في جماعات اللذة النواسية التي تعرفها بلادنا في كل زمان ومكان وان أطل عليها واكتفى بأن يحب الجمال حبا لايخدش سمعة ولا يسيء الى واجب انه متأثر بالفارس الجاهلي وبالمجاهد الاسلامي والقومي الاموي أكثر من تأثره بفقهاء اللذة من العباسيين وقد غدا في سلوكه مثال الاعتداد والعطاء وأداء الواجب والانكباب على الثقافة فأصبح محل اعجاب التلاميذ والزملاء وكل من تعامل معه أو احتك به مع بسمة تمر على الشفاه عند تذكر ثورات غضبه . والحق انه جسم فرديته في شخصية المعلم فكان معلما مربيا في جميع جوانب حياته وانه في شعره معلم ومعلم متحمس أمام تلاميذ ليسوا دائما بالنجباء فهو يصيح بهم (انتبهوا) و (يا قوم) ..

ونحن أيضا بلغة المعلمين نقول مرحى له مناضلا ومثقفا وشاعرا مرحى له معلما وشكرا له على قوله :

الحكم للايام فانتبهوا
لا الفخر ينفعنا ولا الطرب

آمنت بالاحداث قاطبة
وبما تجيء به وتنتهب

أترى على أدواجها زهرا
ذهب الجميع النور والذهب

أنا لنذكر للورى نسبا
ودواؤنا الإخلاص لا النسب

لهفي على المجد القديم ومن يرى
مجد العروبة أنه سيهون

ياقومنا بالله لا تتفرقوا
فالخطب أعظم والعدو متين

ياقوم ان نشكو الشقاء ففي غد
كل السرور لوارعوى المفتون

سهيل عثمان



سليمان العيسى

لا تعاتبنـــي .. تقصيت الوتـر — فاذا اليـنـوع والساقي عمـر

زغبا كنت عـلى درب الـرؤى — حين مد الريش في دربي عمـر(١)

زغبـا كنت ... بأنطاكيتـي — انـه أول قرائـي .. عمـر(٢)

« شاعر أنت » .. وألقى في دمـي — جمـرة الحلم .. وغـذاهـا عمر

« يا صغيري » ورمـى عصفـوره — في عباب « الاصفهانـي » عمـر(٣)

خذ ، تعلم ، انت صـوت نـادر — يخلـق النـادر أمثـال عمـر

ومشى العمر .. وكنـا أبـدا — عطش الصحـراء والغيم عمـر

عفـة تهـوي السمـاوات علـى — قدميهـا .. سمهـا نفس عمر

وبيـان عربـي تشتهـي — سكبـه النعمى اذا قال عمر(٤)

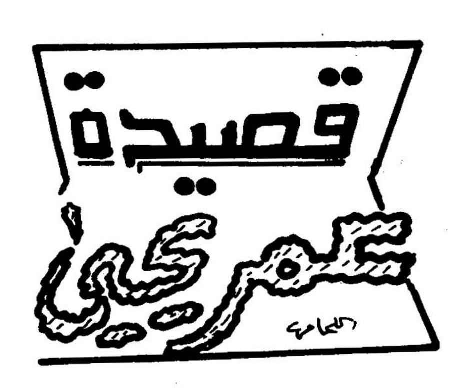
مجـده أن يركـع المجـد على — كبرياء الزهـد بالمجـد عمر

مجـده جيـل بنـاه صامتـا — يا بقـايا السيف ، يا جيـل عمر

يشمخ الشامخ منـا انـه — كان يومـا .. كان تلميـذ عمر(٥)

---

(١) لم اجد تكريما للقافية العربية اجمل من تكراراسم هذا المحارب القديم عمر .
(٢) اول قصيـدة لي نشرهـا عمر يحيى في مجلـةادبية كانت تصدر بأنطاكية .
(٣) اول من أعارني أجزاء من كتـاب « الأغـاني »لابي الفرج الاصفهاني لاطالعها وأنـا تلميذ في المدرسـة الابتدائية بأنطاكية كان عمر يحيى .
(٤) كان عمر يحيى راويـة ساحرا لروائـع الشعرالعربي قديمه وحديثه .. يعرف ذلك كل من تتلمذ عليه
(٥) واني لشديد الاعتزاز ان اكون واحدا من هؤلاءالتلاميـذ .





أتراها ترضي الوفا ألحانه   بعد أنّ صارع الزمان كيانه

صاغها قلبه المتيم بالفنّ ، وسدى نسيجها وجدانه

وسقاها من روح كل أبي   أريحي ، يوري النفوس بيانه

فغدا يرسل القوافي وشيا   يتهاداه تحفة خلصانه

ما شدا العندليب شدوي بالمغنى ، ولا قدس الكفاح لسانه

أحمل الوجد في هواه فتيا   وصدى الحزن من قصيدي هوانه

★ ★

ان يعم المشيب مني فروعي   فاد كار الشباب هذا أوانه

نغرس الذكريات في العمر كيما   يتملى بغرسه جنانه

حين كنا نعيش في دارة الحي ، وللحي ظالما خاقانه

غاية العلم أن نقر على الظلم ، ويرضى من نشئنا ترطانه

كادت الضاد أن تفوز ويأبى   موتها من جنى الاباء لبانه

كم شهيد ذكرى الطفولة منا   نعرة الجرح منه أو عنفوانه

يتغنى بالموت أرجوجة المجد ، ويهتز في الفضا جثمانه

وهوانا الرفاف : تحيا بلادي   هي « نعم » لعاشق و « جنانه »

★ ★

وليالي آذار حين ألاح التاج ، واهتز في الحمى صولجانه

مـن ليـالي السعود كانت ويروي خلجـات الافراح منهـا جنانـــه
كنت طيفـا ، مـا زار حتى تـوارى فاستبـدت بوالـــه أحزانـــه
والنــدامى في غمـرة الـرزء ساهـــــون ، حيارى ، كل لـه أشجانـــه
وكأنــي اذ غبـت عنـي تنـــاءى عن حياتي مـن الصبـا ريعانـــه

★ ★

يــا لهـــا وقفــة ترشـح باللـــؤ م ، وينبي عن اللئيـم ضمانـــه
نحن «عدنــا» فلتسمعن صلاح الديـــــن شبحـا أزرت بـــه أضغانـــه
حسـب الغـادر المـدل بأنـــا نتفـاداه ، ان غـــلا عدوانـــه
لـم نهـن للمغير يومــا ، وكنـــا جبـلا تعجـز العـــدو رعانـــه
موطني مـوطن الميامـين تشــدو بهـواهـم سهولـــه ومتانـــه
كل نـدب يلقى المنـون بوجـــه باسـم الثغر ، مرهب خطرانـــه
كبريـاء الطمـاح تكســو حفافيـــــــه ، وغـار استشهاده أرجوانـــه
لا مقـــام في ربعنــا لعـــدو لا تبـالي وقـع الخطوب حسانـــه
تتبـارى في ساحــة المجـد لحنـــا عبقريـــا ، علويـــة أوزانـــه
خولـــة أو تماضـر تـذمر الافـــــلاذ والمـوت أحمر طيلسانـــه

★ ★

يــا مطـــلا علـى اللـواء أأنسى مربعا من ربـا الخلـود جنانـــه
مستمـدا مـن الطبيعـة مـا شـــا ء جمـالا تصبي النهـى أفنانـــه
يتهـــاداه ، مـن عـــدو ودان أغتـم القـول ، ألكـن تبيانـــه
وشبابا ما نـام يومـــا على الضيـــــم ، وان خـام في اللقـا ربانـــه
أين كانـوا ، وابن الحسين ينـاجي ربـــة الشعر ، مرعدا شيطانـــه
أيــن كانوا ، وقرم حمدان تجـري مـن نواحيـك للوغـى فرسانـــه
أنت مجلـى الحيـــاة للنـازح المحـــــزون ، عـن عقـر داره وأمانـــه

★ ★

أيــن مني مغنـى أويت اليـــه أرشف العلم ، والزمان زمانـــه
أيـن مني الاقصى ودار صـلاح الديــــن ، درسـا : وأيـن مني مكانـــه
لا لياليـــه بعـد أنس ليــال أترعت كأسهـــا ، ولا ندمانـــه
وسـرت في ظلالـــه روعـــة الخطـــــب ونـادت هزارهـــا أوكانـــه

ستعودين يا فلسطين مهما   أبرق السقط ، أو نما طغيانه
لا تراعي مهما تنمر باغ   وتباهى بغدره ثعلبانه
الدماء التي تعمك يادا   ر دماء ، تهوي لها أركانه
من طباع الحروب كر وفر   لن تضيعي ، وفي الحمى عقبانه

★ ★

حين يشكو الحماة غيري فقلبي   بحماتي يسمو به خفقانه
يا حماتي ، في البعد طيف خيالي   كنت ، ما البحتري ؟ ما شقرانه
ان تكن علوة أضلت نهاه   فقصارى محبها نسيانه
بلدي رفرف الجمال عليه   فزهت روضه وطاب معانه
بلد غيم الاباء عليه   فسمت روحه ، وعزت قنانه
بلد حطم العدا شهداه   في ذراه ، يحدو بهم مهرجانه
يا حماتي طوفت آفاق عمري   ولعاصيك من فؤادي حنانه
والنواعير دائبات ، تغني   أين منها « اسحق » أين قيانه

★ ★

شهد الله أنني لست أنسى   لكم موقفا يطيب بيانه
أسلست للمحب فيه القوافي   فتجلى عن سره اعلانه
ان يكرم أخوكم فبفضل   أنتم رائدوه ، أنتم عيانه
قد أعدتم عهد العروبة في الشعر ، وطابت بالقول منكم دنانه
أنتم للقريض خير حماة   لا يرعكم من أهوج هذيانه
يعرف السيف بالضريبة يلقا   ها ، وينبي عن الصديق امتحانه
ان سمعتم عنادل الروض تشدو   فصبدى الحب شدوها وكمانه
رائع الفن خالد يتحلى   بخلال ، يعلو بها فتيانه
الصريح الجميل يأخذ بالنفس فيوحي ما لا يرى ثنيانه

★ ★

هذه أيها الاحباء ذكرى   رددتها مع الاسى أجفانه
ذاق حلو الحياة والمر حتى   من تجاريبها ذوى بنيانه
غير ما قلبه المردد شكرا   لو يضاهي جميلكم شكرانه

أثر التعليم والمكتبات والمطابع في الحركة الأدبية بالمملكة العربية السعودية

التعليم :

ان التعليم في الجزيرة العربية لم يكن تعليما بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة قبل قيام المملكة العربية السعودية ففي العهد العثماني كان التعليم باللغة التركية بما يتلاءم مع ظروف ذلك العهد .

أما التعليم بمعناه الحديث فلم يبدأ الا في العصر السعودي وهو وان تعثر في بداية قيام المملكة العربية السعودية الا انه نهض من كبوته وسار في ركاب العلم كما في بقية الاقطار العربية الاخرى .

وأهم المعوقات التي اعترضت التعليم في بداية الحكم السعودي تتلخص في نقاط ثلاث :

ا ـ لم تكن هناك موارد مادية للملكة تمكنها القيام بأي مشروع غير موارد الحج التي لم تكن في حينها تسمن او تغني من جوع .

ب ـ عدم توفر الهيئات التدريسية والادارية المؤهلة للقيام بأعباء العمل التعليمي في البلاد .

جـ ـ واخيرا وجود العقليات المناهضة لكل جديد والتي لم تكن لتقنع بنظريات العلم الحديث والتقدم العصري للحضارة الانسانية .

وقد واجه الملك عبد العزيز هذه المشكلة حتى استطاع بفضل عقليته المتفتحة ومرونته المعهودة ان يوضح لتلك الفئات فائدة المدارس الحديثة التي تساعد على تفتح عقلية الجيل وتنور بصيرته مما يؤدي الى تقوية العقيدة الدينية في القلوب وبالتالي تنقل المملكة الى مصاف الدول المتحضرة .

ولم تمض سنتان فقط على قيام المملكة العربية السعودية ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٦ م حتى انشىء اكثر من اثنتي عشرة مدرسة لم يتجاوز عدد طلابها السبعمائة وخلال السنوات العشر التالية انشىء سبع وعشرون مدرسة في انحاء المملكة على الرغم من الظروف القاسية التي المحنا اليها .

وفي عام ١٣٦٣ هـ ـ ١٩٤٣ م افتتحت مدرسة « دار التوحيد » بالطائف لاول مرة بهيئة تدريسية تضم ثلاثة سعوديين والباقي من مصر وسورية واخذت تدرس التفسير والحديث والفقه الحنبلي والاصول والمصطلح والتوحيد والفرائض بالاضافة الى الحساب والنحو والصرف والبلاغة والتاريخ والادب والتجويد يتعلم فيها الطالب على مراحل وتمكنه من الانتقال الى كلية الشريعة بمكة التي افتتحت سنة ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٤٩ م ويدرس فيها اربع سنوات يتخرج بعدها ليصبح قاضيا او مفتيا او مدرسا .

ثم توالى بعد ذلك افتتاح المدارس في مختلف انحاء المملكة واهم ماافتتح في ذلك الحين مدرسة « تحضير البعثات » بمكة وذلك لاعداد افواج الشباب علميا وفنيا وليتمكنوا من الالتحاق بمختلف الكليات في جامعات اوروبا وامريكا وبيروت ومصر .

وبعد سنين قليلة عاد هؤلاء المبعوثون ليحلوا محل الاجانب والغرباء ويتسلموا أعلى المناصب في الدولة .

ثم انشئت مدرسة المعلمين الليلية في الرياض عام ١٩٥٠ م واحدث كذلك اول معهد علمي في العاصمة وكذلك أسست الادارة العامة للمعاهدالعلمية والكليات

وهكذا استطاعت خطة الادارة التعليمية ان تنجح وتحقق اغراضها وتقنع الناس بفائدة المدرسة العصرية فاقبل المواطنون بافواج ابنائهم الى المدارس لتلقي العلم من مناهلها وراحت الدولة تبث المدارس في كل حدب وصوب تلبية لرغبات المواطنين فالمال قد توفر والكوادر التعليمية قد نمت وهكذا انتصرت الحركة التعليمية ولم

تنته مهمتها الا عندما انشئت وزارة المعارف ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٣ م وبدات مهامها الضخمة تتزايد يوما بعد يوم ولتقدير مدى ضخامة المسؤولية الملقاة على عاتق وزارة المعارف نلقي نظرة على ارقام موازنة الوزارة التي لم تكن تتجاوز اثنى عشر مليون ريال في بداية عملها في حين انها تتجاوز اليوم ٨٠٠٩ مليون .

وأصبحت مناهج وزارة المعارف تضاهي مناهج احدث الدول العربية وتسلحت بالعلم والتخطيط باعلى المستويات فقسمت رقعة المملكة المترامية الاطراف الى احدى وعشرين منطقة تعليمية مستقلة ماديا واداريا .

وقسمت التعليم الى فروع : عام ، وفني ، وجامعي — في داخل البلاد وخارجها واعداد المعلمين وشعبي .

١ — فالتعليم العام : يبدأ بمدارس الحضانة وينتهي بنيل الطالب الشهادة الثانوية .

٢ — والتعليم الفني : يشمل المدارس الصناعية والتجارية والزراعية .

٣ — والجامعي : ويتم في داخل البلاد وخارجها وقد توالى قيام الكليات وانشاء الجامعات منذ انشئت كلية الشريعة بمكة سنة ١٣٦٩ هـ — ١٩٤٩ م وتأسست في الرياض الجامعة التي سميت عام ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٧م بجامعة الرياض التي تضم كلية الآداب والعلوم والتجارة والزراعة والصيدلة والتربية والطب والهندسة ، ووجدت ايضا كليات الشرطة والحربية والقضاء العالي والشريعة واللغة العربية والتربية وجميعها في الرياض. والشريعة والدراسات الاسلامية والتربية بمكة المكرمة .

وجامعة البترول بالظهران .

والجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

وجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

وجامعة الملك فيصل بالمنطقة الشرقية .

٤ — ومدارس إعداد المعلمين : التي تعمل لايجاد المعلم الكفء والاستغناء التدريجي عن المعلمين المتعاقدين

٥ — واما التعليم الشعبي : فهو يتضمن مدارس مكافحة الامية لدى كبار السن في مدة يتبعها المسن لا تتجاوز السنتين والامر على محو الامية خلال السنوات القادمة . ويشترك حاليا واحد من كل سبعة افراد في برنامج تعليمي منظم ، وتسعى المملكة الى تحقيق تعليم ابتدائي شامل واتاحة فرصة الاستمرار في التعليم الثانوي والجامعي هذه الانطلاقة التعليمية خلقت اجيالا من المثقفين والادباء والشعراء الذين راحوا يغمسون اقلامهم في مداد قرائحهم ويصوغون ادبا يحمل سمات المرحلة الحالية التي يعيشونها ويتم بتطلعات شعب نحو المستقبل الكريم ويصور آماله في رؤى تتناسب مع البناء الروحي والفكري لكل منهم من خلال الموقع الذي حدده لنفسه من هذه الحياة .

المكتبات :

لقد عرفت المدينتان المقدستان مكة المكرمة والمدينة المنورة المكتبة في القرن السادس الهجري حين أمر ملك اليمن نور الدين بن صلاح الدين الرسولي ٥٩٤ هـ — ١١٩٧ م بانشاء رباط بمكة أوقف فيه كتبا كثيرة منها « المجمل لابن فارس » و « الاستيعاب لابن عبد البر » ثم راحت الكتب تتزايد في مكتباتها حتى اليوم .

ثم تتابع ذلك اقامة المكتبات في هاتين المدينتين حتى عد صاحب «مرآة الحرمين» ثماني عشرة مكتبة في المدينة المنورة في أوائل القرن الرابع عشر الهجري — العشرين الميلادي ولعل أفضل مكتبة فيها هي مكتبة « عارف حكمت » التي بلغت مخطوطاتها اربعة آلاف وخمسمائة مخطوط ومطبوعاتها الفين وجميعها من الكتب النادرة .

أما فيما عدا هاتين المدينتين فلا نجد اثرا للمكتبة قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في اية رقعة من انحاء الجزيرة العربية .

الا أن المكتبة بمفهومها العصري الحديث فلم تعرف في الجزيرة العربية الا بعد قيام المملكة العربية السعودية وقد اهتمت وزارة الحج والاوقاف بعد انشائها بشؤون تنظيم المكتبات فجمعت الكتب في مكتبتي الحرم بمكة المكرمة والمدينة المنورة وجردت محتوياتهما وثبتتها في سجلات رسمية وفرغت لها الموظفين والمختصين للعناية بها .

ونبتت بذرة المكتبة في نجد في بيوت الامراء فقد

تجمع في مكتبة المفتي محمد بن ابراهيم وغيره اعداد كبيرة من الكتب وانشأ الامير مساعد بن عبد الرحمن أخو الملك عبدالعزيز أول مكتبة عامة بالعاصمة سنة ١٣٦٣ هـ ــ ١٩٤٣ م وخصص لها جناحا للمطالعة مستقلا في قصره وأباح لكل راغب بالاستزادة من علمها وبذلك خطا الامير مساعد الخطوة الاولى في انشاء المكتبات العامة في المملكة العربية السعودية كلها .

ثم توالى بعد ذلك اقامة المكتبات الخاصة والعامة « كالمكتبة السعودية » بالرياض ومكتبة امانة مدينة الرياض بحي « الملز » حيث نقلت مقتنياتها الى دار الكتب الوطنية عام ١٣٨٢ هـ ــ ١٩٦٢ بعد أن أخذت جامعة الرياض مبانيها . .

وتعتبر دار الكتب الوطنية من احدث المكتبات في المملكة حيث روعيت في انشائها الشروط التي يجب أن تتوفر في المكتبة الحديثة منذ لحظة افتتاحها سنة ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٨ م

ثم أخذت وزارة المعارف تنشيء المكتبات في أكثر انحاء البلاد واصقاعها المترامية وهناك مكتبات خاصة لكل كلية من كليات جامعات المملكة على مختلف أنواعها بالاضافة الى المخابر اللغوية والعلمية على اختلاف مناحيها مزودة باحدث الآلات وطرق الايضاح والتعليم .

وهناك مكتبة بالظهران وهي منظمة على أحدث طرق المكتبات ويديرها مهرة في ميدان المكتبات وعرض الافلام العلمية وصور المخطوطات والآلات المصورة والقارئة المتوفرة كلها فيها وبكثرة .

وهكذا نستنتج مما تقدم ان المكتبة عريقة الوجود في البلاد العربية السعودية وقد تطورت هذه المكتبة مع الزمن منسجمة مع عقلية ابنائها في كل عصر وزمن ومن الملاحظ حاليا أن المكتبات في المملكة العربية السعودية تتبع ادارات مختلفة .

آ ــ فمنها ما يعود الى وزارة الاوقاف والحج كمكتبة الحرم ومكتبات المدينة المنورة .

ب ــ ومنها ما يتبع وزارة المعارف كمكتبةدارالكتب الوطنية بالرياض ومكتبات الاقاليم الاخرى كمكتبة بريده وعنيزه والدمام وغيرها .

ج ــ ومنها ما يتبع دار الافتاء كالمكتبة السعودية بالرياض .

د ــ ومنها ما يتبع شركة الزيت بالظهران .

هـ ــ ومنها ما يتبع لادارة الجامعات والكليات كل حسب اختصاصها .

و ــ وهنالك المكتبات الوزارية الحكومية ونقول حكومية لانها ليست مفتوحة لسائر المواطنين وليست ملكا لفرد معين ومن ابرزها مكتبة مركز الابحاث والتنمية الصناعية ومكتبة معهد الادارة العامة بالرياض .

ز ــ وهنالك ايضا المكتبات المدرسية صغيرة كانت او كبيرة حسب حاجة المدرسة .

ح ــ وهنالك المكتبات الفردية الخاصة وهي كثيرة جدا ويصعب حصرها .

وهنالك ايضا مراكز وثائقية وتقوم المكتبات باصدار مطبوعات وفهارس معظمها باللغة العربية وبعضها باللغة الانكليزية .

ومهما يكن من دوافع انشاء المكتبات العامة والخاصة فلا بد من الاعتراف بفضلها في تثقيف الناس على مر العصور ورفع مستوياتهم الفكرية والادبية اما وقد أخذت الدولة على عاتقها فتح ابواب العلم والمعرفة على مضراعيه أمام جماهير الشعب فانها بذلك تدفع المجتمع في طريق النور والحضارة والارتقاء وقد انعكس هذا على أفكار الجيل السعودي من الشباب والشابات الذين نطالع انتاجهم كل يوم من فكر وادب وشعر رقيق اصيل ويكفي أن نلقي نظرة على المطبوعات الجديدة للشباب السعوديين لنعرف مدى تأثير المكتبة والثقافة على هذا الجيل العتيد الذي راح يموج بالخصب والعطاء ويفجر فيض الحركة الادبية على أرض المملكة العربية السعودية بادب جاد رصين يحمل متانة الخلق وصلابة الايمان وطهارة الروح والنفس بفضل التربية الدينية الاصيلة بعيدا عن الترف .

وراح الكتاب السعودي يشق طريقه وسط الاسواق العربية والمحلية بين السيل الجارف من المطبوعات ليأخذ مكانه اللائق في رفوف المكتبات المختلفة سواء في داخل المملكة العربية السعودية أو في خارجها وتعمل الدولة جادة على تأمين طباعة محلية تسهل على الادباء الشباب نشر انتاجهم ، كما تقوم وزارة الاعلام بتشجيع المؤلفين السعوديين عن طريق شراء نسخ من مؤلفاتهم والقيام بتوزيعها داخليا وخارجيا ، كما ترعى حركة التأليف والنشر بمختلف وسائل الرعاية سعيا وراء ابراز الفكر السعودي ، ودعم الانتاج الادبي اللائق بالمستوى الذي وصلت اليه المملكة العربية السعودية في كافة المجالات .

الطباعة :

تأخر ظهور الطباعة في الجزيرة العربية حتى أوائل الربع الاخير من القرن التاسع عشر حين استحضرت الحكومة العثمانية مطبعة تدار بالقدم وذلك سنة ١٣٠٠ هـ ـ ١٨٨٢ م .

ثم استحضرت بعد ذلك مطبعة متوسطة وبعد عدة سنوات جلبت مطبعة حجرية سمتها « المطبعة الاميرية » وفيها كانت تطبع جريدة « الحجاز » المكية وفي اثناء الحرب العالمية الاولى صادر الاتراك «مطبعة زحلةالفتاة» ونقلوها الى الحجاز لتدعم المطبعة الاميرية .

وفي سنة ١٩١٩ م أسس الشريف حسين مطبعة صغيرة في مكة لطبع جريدة القبلة ، وحين استتب الامر للملك عبد العزيز آل سعود اطلق على هذه المطبعة اسم « مطبعة أم القرى » واستحضر لها عددا من الخبراء العرب سنة ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م وعقد معهم اتفاقا لتعليم بعض الحجازيين هذا الفن .

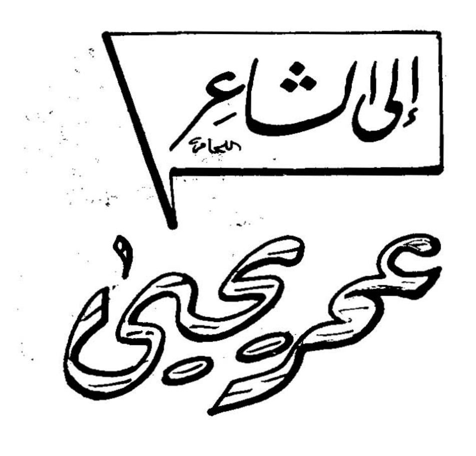
وكانت الخطوة الثانية للملك عبد العزيز حينما أرسل سنة ١٩٣٧ م سبعة عشر شخصا الى مصر ليتدربوا على الطباعة في مطبعة بولاق .

ثم بدأت الحكومة السعودية تدخل تحسينات على هذه المطبعة حتى أصبحت تساير أرقى المطابع وقد أصدرت قرارا بتبديل اسمها من مطبعة « أم القرى » الى « مطبعة الحكومة » وبدأت تهتم بالمطبوعات الحكومية الرسمية ومجلة الحج والتقويم السنوي والانظمة والتعليمات وجريدة « أم القرى » .ثم تلا ذلك انشاء الشركة العربية للطبع والنشر بمكة حيث أخذت على عاتقها طباعة جريدة « البلاد السعودية » وكافة المطبوعات التجارية ومن ثم طباعة « مجلة المنهل » وذلك سنة ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٥ م .

وفي سنة ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٦ م تم انشاء مطبعة جريدة المدينة المنورة وهي مطبعةاهلية يتم فيها طبع الجريدة بالاضافة الى المطبوعات والاوراق الحكومية ثم توالى بعد ذلك انشاء المطابع في جدة حيث انشئت مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر وهي مطبعة حديثة بكل امكانياتها وعمالها المؤهلين وبدأت عملها سنة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢ م واستطاعت أن تطبع كافةالاوراق والمطبوعات التجارية والحكومية ومجلات الاذاعة والحج والاضواء ثم المنهل وجريدة الرياض المصورة وجهزت بآلات جمع الورق المعروفة باليونيت ثم جاء بعد ذلك انشاء المطابع في الرياض سنة ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ م وتوالى انتشار المطابع في المملكة العربية السعودية التي نشطت الحركة الادبية بما قدمته من تسهيلات يومية لطبع الصحف اليومية والاسبوعية ونصف الاسبوعية والمجلات المتعددة والتي تحتاج الى أدباء يدبجون لها المقالات الاجتماعية والادبية والسياسية والدينية والعلمية والقصائد الشعرية والقصص المسلسلة وما الى ذلك من النشاط الفكري الذي خلق طبقة من الكتاب وبالتالي ترتب وجود حركة نقدية لتعزيز هذا الانتاج الغزير الذي راح يحتل مساحات على رفوف المكتبة العربية السعودية يوما بعد يوم .

ان المطبعة السعودية ساعدت على طباعة ونشر الانتاج الادبي الوطني وانشاء المعرفة واذاعة الثقافة واعطاء صورة صادقة عن نهضة البلاد الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية التي تبقى المحور الذي ترتكز عليه اخلاقية الانتاج الفكري السعودي قاطبة .

هذا وان الحكومة العربية السعودية ساهرة على دفع حركة الطباعة في المملكة الى الامام وسنت لها القوانين والانظمة التي تنظم شؤونها وتكفل سير عملها وتسهر على تقدمهاولم تغفل عن مراقبةمايتم طبعه فيهالتظل هذه المطابع ضمن المخطط الرسمي الذي خطته لها .





انور الجندي

غنيتني ، فأفاق الليل : والوتر ... والذكريات ، وعمر كله ضجر

نحن العطاش الى خمر معتقة ... والراح راحك ، فاسق الروح يا عمر

يا مبدع الشعر : هذا الشعر تلفحه ... من العلوج رياح لفها الخطر

وأنت تعلم : والايام عالمة ... أن الاناشيد تحلو ، وهي تستعر

وليس يخلد لغو تافه أبدا ... وانما هو منبوذ ، ومحتقر

هيهات ، هيهات ، أن يعلو لهم علم ... ونحن ، نحن حماة الشعر ، لو شعروا

أبا طريف ، اليك اليوم أغنية ... من شاعر دمه الاشواق ، والسهر

قد كان يحلم ، أن يلقاك ثانية ... حتى يضمك من ألحانه ... الزهر

سلمية ـ انور الجندي



عُمر.. بنا.. يحيا

(الجماعة)

محمد منذر لطفي

● مهداة الى شاعر « حماة » وأديبها الكبير المربي القدير الاستاذ « عمر يحيى » تحية محبة وتقدير ووفاء .. بمناسبة المهرجان التكريمي الذي أقامته له مدينة ابي الفداء مساء ٨-١٢-١٩٧٧ في صالة نقابة المعلمين .. اعترافا منها بشعره وادبه وعلمه وأياديه البيضاء عليها .

— ١ —

كرمان .. خمرهما حلال كرم القوافي .. والخصال
هذا يسلسل راحه سحرا .. وذا يهب الكمال
قد كان في وادي حماة وفي الذرا ليل أطال
حتى بدا « عمر » فأشرق في دجاها كالهلال
يا شاعرا نفح الخلود بكل عذراء الجمال
ما أنت الا الروض مد على مغانينا الظلال
غررا .. على انغامها غنى الصبا طربا ومال
تزهو كما شاءت لها انسام « عبقر » والخيال
فكأنها .. والحسن ابدعها .. الجواهر واللآل
أكبرتها .. أكبرت فنك .. فهو بحر لا يطال

●

— ٢ —

يا شاعرا زحم الشموس بجانحيه .. وما يزال
لك في النضال مواقف غراء .. خلدها النضال
أمسيت في الليل السنا وغدوت في الساح النصال
كنت المعلم .. والمربي .. والاب الحسن الفعال
وابحت علمك للعطاش .. وكنت برا بالعيال
وأنرت للركب الدروب .. ورحت تهزأ بالمحال
أرخصت في سبل المعالي كل مرتخص .. وغال
وأذبت في صمت شموع العمر .. واخترت الظلال
أسريت بالاجيال من حال مضيعة .. لحال
ومضيت تنثر من كنانتك الصباح على الليال
جاهدت فيهم باليراع .. فكنت أصدقهم مقال
ونفحتهم روح الكفاح .. وكنت في الجلى المثال
علمتهم أن الحياة مواقف تأبى الجدال
لا يسلم الوطن الكريم اذا تغيبت الرجال

●

ـ ٣ ـ

يا شاعري ماذا أقول ؟ وحار في شفتي السؤال
عندي الكثير من الذي عانيت من قيل وقـال
حولي من الحساد ألوان يريشون النبـال
حاكوا مكائدهم ٠٠ فكانوا السم ينفثه الصلال
اني لارحمهم عـلى ما بيتوه مـن الفعـال
أعطوا لانفسهم حقوق «الاسد» والباقي السخال
« البعض » أفرغ حقـده ما كل معلوم يقـال
قد كنت أغبطهم لو أن سيوفهم صنو القتال
أكبرت شعري أن يكون قطوفه سهل المنال
أطعمته شهد الهوى وسقيته خمـر الوصـال
وصقلته زمنا٠٠فأصبح فارسا يهوى النزال
ومضى يذر السحر دفقا باليمين ٠٠ وبالشمال
هذا أنا ٠٠ من بحرك الطامي ٠٠ تصيدت اللآل
آنست نارك في الدجى،فشددت والقوم الرحال
أسرى براق الشعر بي ليلا ٠٠ وبي ظمأ الرمال
خلفت وادي غير ذي زرع ٠٠ وعانقت التـلال
حتى اذا لاح الضيـاء ٠٠ وراح يكشفه الذبال
يممتـه ٠ فوجدتـه أصفى مـن المـاء الزلال
فقبست جمر الشعر منه شذى لربات الحجال
قد رحت التمس القليل فعدت بالغرر الطوال
هي بعض ماغرست يداك نمت وماجت بالغلال
خذها ٠٠ كأنفاس الصبا عذراء ما خطرت ببال
وكما أراد لها البيان « عروس » هذا الاحتفال
خذها ٠٠ فمنك ٠٠ اليك ارفعها ٠٠ فيا حسن المآل
« عمر » بنا «يحيا» ٠ ونحن به ٠ فنحن على اتصال

●

ـ ٤ ـ

يا شاعري ٠٠ يا صاحب الكرم الذي اغنى السلال
لك سيرة بيضاء ترفل بالوضـاءة والجـلال
أزرى بنا شعر « البغاث » وراح يورثنا الهزال
من بعدما زحم « النسور » بشعرهم قمم الجبال
أين الذين بيانهم أشهى من السحر الحلال ٠٠؟
قد خلدته أصالة الفصحى ٠٠ وأسرار الجمـال
زعموا «الجديد» تحللا ومشوا وراء «أبي رغال»
ملاحهم ضل الطريق ٠٠ وجاء بالداء العضـال
قد راح يستسقي السراب وراح يستجدي الرمال
ضاق «الجديد» به هجينا ٠٠ يملأ الفصحى خبال
ليس «الجديد» فتات قوم ٠٠ اوطلاسم ٠٠ أوعقال
ان «الجديد» مواقف وأصالة تأبى الضـلال

●

ـ ٥ ـ

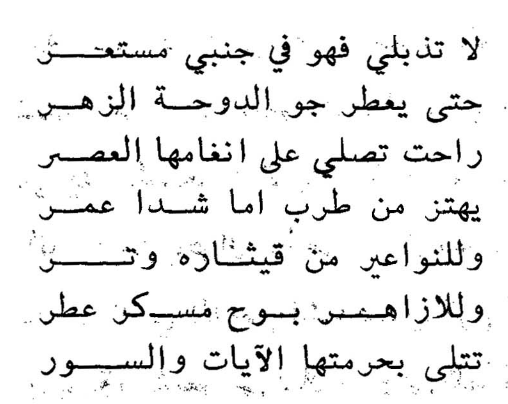
يا شاعري ٠٠ والعمر طيف زائر ٠٠ والدهر آل
تمضي الحياة بحالتيها ٠٠ والجميع الى زوال
مر الانام بها كما مر الخيال على الخيـال
ولأنت أنت البدر في ليل السراة ٠٠ وما تزال
يمضي الزمان ٠٠ ومجد شعرك لن يغيب ولن يطال

محمد منذر لطفي



تصوّف الشعر

محمد حسن منجد



لا يا براعم آمالي فديت هـوى ... لا تذبلي فهو في جنبي مستعـر

تفتحي ... نوري أغصان دوحته ... حتى يعطر جو الدوحة الزهـر

هذي المواسم من وزن وقافيـة ... راحت تصلي على انغامها العصـر

تصوف الشعر في محرابها ومضى ... يهتز من طرب اما شـدا عمـر

فللضفاف رئـات من تنهـده ... وللنواعير من قيثاره وتـر

وللطيور تسابيـح مرتلـة ... وللازاهـر بوح مسكر عطر

وللمنابر يوم الروع زمزمة ... تتلى بحرمتها الآيات والسـور

★ ★

يا رائد الجيل هب لي منك مغفرة ... ان لم يكرمك من أهل الحمى نفر

هم من عرفت لهم في الشعر مملكة ... هم النبيون ان أهل الورى كفروا

★ ★

حسبي أذوب ألحاني على كبـدي ... ومن بقايا كـروم العمر اعتصر

لولا الحياء لما أمسكت قافيتي ... فليس في أضلعي خوف ولا حـذر

لكنني رغم ما في الصمت من حكـم ... والصمت أبلغ في آذان من وقروا

أقولها ورحى الايام تطحننـي ... لا يعتريني بها ضعف ولا خـور

ما نحن الا تباشير الصباح علـى ... أضوائنا يولد الايمان والظفـر

ألفيت كل عظيم الشان متجـرا — بشأنه فهو في عيني محتقـر
خل العتاب فقد شط الغرور بهـم — ان الفراش على الاضواء ينتحر
ونفض الوهم عن عيني ان يـدي — مشلولة وجناحي اليوم منكسر
كأنني وسيول اليأس تجرفنـي — شلو يسلمه للقـاع منحـدر
أجارني الدمع يوما فاستجرت بـه — وخانني يوم اعشى ناظري القدر
فرحت أحرق دمعي من جحيم غد — ما زلت أسأله بـردا وأنتظـر

★ ★

يا قائد الركب ألحان الفدا عجب — من عبقر الشعر لا زيف ولا أشر
ما للقريض غـدا يهذي به نفر — ممن أضاعوه حتى كاد ينحسر
عابوا الاصالة فينا فانتضوا قلما — تضج من نتنه الالفـاظ والصور
وأوغلوا في غموض الرمز فاحترقوا — بمارج من بروج الشمس ينفجر
خطوا على الشاطىء الرملي نهجهم — فان طغى الموج لم يثبت لهم أثر
والمرجفون تباروا في دوائرهم — حتى اذا لفهـم اعصارنـا قبروا
وقام فوقهم العفريت منتصبـا — يمناه بالشمس واليسرى بها القمر
ففي المجرة اصداء مجلجلـة — تحيي الاصيل وفي سمتيه تبتكر

★ ★

يا حادي المجد أوتاري مقطعـة — أتت عليها رياح الدهر والغير
لم تبق مني سوى ظل تؤرجحـه — أشعة الضوء في فودي تنكسر
ثم استدارت على قلبي فشاب هوى — يدمي حناياه ظل الهدب والحور
وفارع بترت ساقاه يسألنـي — متى اسير ؟ وتسري في دمي ابـر
فأعطني الصبر والصمت اللذين هما — سرا سموك في دنيـاك يا عمـر

★ ★

يا بلبل الدوح حسبي منك اغنية — يعود لحن الهوى والعمر يزدهر
أسر لي شاطىء العاصي هواك بمن — أضناك في حبها التسهيد والسهر
فرحت تملأ أكواب الهوى غررا — وكنت تحرص ألا ينشر الخبـر
لكنه الشعر يا للشعر كم كشفـت — آهاته ألف سـر كان يستتـر

★ ★

أستغفر الله ٠٠ لا صبري بمنقطع — ولا سكوتي ظمآن ولا بطـر

لكن سمعت بجوف الليل حشرجة — كأن مجد بلادي اليوم يحتضر
دب الخنوع فلم اسكت وفي وطني — جحر الصلال ووغد خائن قذر
مضى الى الخصم محمولا على سرر — من الخيانة في تشرين يتجر
صكت مسامعه أصداء مؤتمر — فراح يلهث للاقصى ويأتمر
أراحه صوت « دايان » يذكره — عار الهزيمة اذ وافاه يعتذر
عوى عليه وما ينفك رجع صدى — في مسمعيه وفي أشداقه حجر
لكن كافور هذا العصر ألقمه — « سينا » وعاد يلف الذيل يفتخر
وحوله من عبيد الحكم شرذمة — يهللون وقلب العرب ينفطر
وصافحت عينه الاقصى وصافحه — « دايان » يشحذ سكينا وينتظر
كانا على موعد سرعان ما اقتربت — عقارب الوعد لما مسه الذعر
هون عليك فهذي حال أمتنا — حكم يخون وشعب عظمه نخر
باعوا فلسطين باعوها بلا ثمن — باعوا الدماء وفي اثمانها سكروا
من ذا يرد لوادي النيل عزته — هل ينتخي خالد او ينبري عمر
اني سمعت بأرض الشام زمجرة — الله أكبر جند الحق قد نفروا
بوركت يا شام يا مهد النضال على — صخر التحدي سيقضي البغي ينتحر

★ ★

أبا طريف وكم لبيت مندفعا — هذا النداء وكم أوعزت فأتمروا
حسب المجالس ان آراؤها اختلفت — في معضل الامر رأي منك مبتكر
براعم الامس أفذاذ عباقرة — على خطاك مشوا فانهارت الجدر
يروون للدهر عنك اليوم ملحمة — هام القريض بها فانسابت الصور
قلدتها من كنوز الدر خالدة — يبلى الزمان ولا تبلى لها أطر
لئن تهدج فيها الصوت أرعده — مزمجر في الضمير الحر مقتدر
لم ينصفوك فهل في الدار مستمع — لما نقول وهي في الحي مدكر

★ ★

ياواهب الجيل أوتار القريض على — أنغامك البكر ماصاغوا وماضفروا
هذي الاساطير آيات البيان على — لألائها يخطر الالهام والفكر
وذا عكاظ أقاموه على قدر — فراح يسكر من انخابه القدر
وأنت فيهم امام الشعر لا عجب — ان كرموك فقد وفوا بما نذروا

حماه : محمد حسن منجد

الدولة السعودية الأولى

٣

في جنوب غرب الجزيرة

محمد بن أحمد العقيلي

في سنة ١٢١٩ هـ صدر الامر لعبد الوهاب بغزو (جدة) فأمر بدوره منصورا وعرارا بالغزو معه فتباطأ عرار ثم بعث بالغزو مع اخيه الذي لم يدرك عبد الوهاب الا في بلدة الليث مما أثار غضب عبد الوهاب عليه وجعله يؤنبه امام الناس ويأخذ خيله وسلاحه أدبا له ، ثم أعاده عليهم برجاء أن يكون له حكمه فيه بعد القتال فنزل في السعدية وكان من انتصاره على أمير مكة الشريف غالب.وغنيمته لاسلحته ومعداته ما هو معروف وبعودته الى عسير أخذ خيل وسلاح بني شعبة الذي اعاده لهم بالرجاء وبطبيعة الحال لولا توتر الحالة بينه وبين (عرار) لكان كما قيل (في المعاذير مندوحة) فغضب عرار واستغل الحالة حمود ، فزادها وقودا ، فوصل عرار اليه في أبي عريش وعاهده على المعاونة والمؤازرة ضد عبد الوهاب ، وعاد عرار فاتصل بقبائل رجال ألمع وهم أيضا قد أغضبهم عبد الوهاب فاستمالهم للثورة معه ضده ركونا منه على ما وعده حمود من العون ، وكانت خطتهما ان يثور عرار ضد عبد الوهاب ويرفع للامام سعود بتظلماته ، ويصمد أمام عبد الوهاب وقوته حتى يصل وفد من الامام ، وينظر في الامر وتكون النهاية كما تصورها فصله عن عبد الوهاب ، ويكون وضع حمود بذلك — في نظره — منطقة حياد بينه وبين عبد الوهاب .

بدأ العصيان في رجال ألمع فقضى عليه بسرعة ونزل الى بني شعبة بعشرة آلاف مقاتل ففر عرار الى حمود فرحب به ، وتقدم عبد الوهاب الى قبائل الشقيق وعتود فأدبهم ، وهم بمهاجمة (حمود) الذي قد استعد لقتاله ، فوصلت لجنة من الدرعية قوامها ثلاثة أشخاص فسلمت أمرا لعبد الوهاب يقضي بتسريح المقاتلين حالا وتوجهه الى الدرعية فنفذ الامر في الحال ، وتوجهت اللجنة الى أبي عريش فسلمت حمودا أمرا يقضي بترحيل عرار الى الدرعية وتوجه عن نهوضه بنفسه بما قد يترتب من خلل في تهامة اليمن . فأي وازع ديني وسلطة روحية عليا وقوة ادبية تذعن لها الرقاب بمثل تلك السرعة والامتثال ؟! جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل يؤمر قائده وهو في نشوة انتصاره بتسريح جنده فيحنو للحق هامته ، ويسرحه وهو لم يطو الرسالة بعد ، ثم تصل اللجنة الى (حمود) وهو في عاصمته ومقر حكمه وقد حصنها بكل وسائل الدفاع المعروفة آنذاك ، ولديه ما لا يقل عن عدد جيش عبد الوهاب فينحني ممتثلا طائعا وينفذ الامر ويرحل عرار ويبعث فلذة كبده ووحيده ، ويعلن للوفد بأنه مستعد لكل ما يترتب عليه !!. انها قوة الاسلام التي أعادت للتوحيد سلطانه على النفوس والتي امتثل لها خالد بن الوليد حين تسلم أمر عزله في عنفوان المعركة .

وصل عبد الوهاب الى الدرعية كما وصل عرار واحمد بن حمود وحسن بن خالد وتحاكموا عند الامام سعود وأبرز عبد الوهاب رسائل من حمود تثبت تدخله مع عرار وانتهت القضية ببقاء عرار في الدرعية موسعا عليه في المسكن والرزق ، وضم امارته الى منطقة عبد الوهاب ، وتقييد حمود بأوامر تضمن الاشراف على التصرفات التي ليست من حقه ومنها :

أ — بعث موظفين للاشراف على الشؤون المالية .

ب ـ ان لا يعقد صلحا ولا يعلن حربا الا بأمر الامام سعود أو ما في معنى هذا .

جـ ـ عدم استخدام قبائل همدان الا بعد دخولهم فيما دخل فيه المسلمون وان يجيبوا داعي الجهاد . فقبل الوفد نيابة عن حمود جميع ذلك وعاد معه الموظفون والعمال ، وبوصولهم نفذ حمود كل ما أمر به وكتب الموظفون والعمال بمباشرتهم لاعمالهم وفي اثناء ذلك وصل مشائخ بلدة حجة وجبالها مستجيبين للدعوة، معلنين الدخول في الطاعة فبعث معهم حمود أميرا ومرشدين .

كل ما جرى ولم يمض الا نحو السنة على تولي سعود الامر والحق انه سعود الكبير كما لقبه التاريخ وفي تلك الفترة القصيرة بلغت الدولة الفتية اوج عنفوانها فعلاوة على شمول سلطانها للخليج العربي والحجاز ما عدا المدينتين المقدستين وهما حينئذ على وشك التسليم وحدود الدولة التي تمتد من بوادي العراق والشام الى ضواحي مدينة زبيد في الجنوب كانت هناك تطلعات بحرية ـ لم تظفر بعناية المؤرخين ـ تتجلى في وصول اسطول سعودي الى ميناء (عدن) بقيادة قائد بحري يسمى (الجوشمي) في سنة ١٢١٩ هـ ـ ١٨٠٤ م بعد ابرام أول معاهدة بين سلطان لحج احمد عبد الكريم الفضلي ، والسير هوم بوفهام وقد منحت بموجبها الحكومة البريطانية قطعة أرض في غربي مدينة عدن والسماح للرعايا البريطانيين بحق دخول عدن ، وان تكون ميناؤها مفتوحة امام البضائع البريطانية وان يكون لها مقيم بريطاني يرعى مصالحها . وهي التي مهدت السبيل لاستعمار عدن قبل احتلالها بـ ٣٧ سنة ، وانما يبدو ان السلطان لم يحسن الاستفادة والتصرف فبدلا من أن يتعاون مع قائد الاسطول تعاون مع الانكليز تعاونا غير مباشر برجائه من قائد الاسطول مغادرة الميناء .

ولقد أشرنا آنفا الى دخول (الحجاز) في الطاعة ما عدا المدينتين المقدستين ، ففي سنة ١٢٢٠ صدرت الاوامر الى عبد الوهاب وعثمان المضايفي وابن شكبان وغيرهم بالتقدم نحو (مكة المكرمة) : لان (المدينة المنورة) قد استسلمت في أول هذه السنة ، وبتقدم اولئك القادة اشتد الضيق على غالب بن مساعد أمير مكة فجنح للاستسلام الا انه عز عليه ان يكون عن طريق عثمان المضايفي خادمه بالامس فكتب الى عبد الوهاب بن عامر الذي هو معسكر في الميقات : (أنه قد دارت المباحثة فيما بيني وبين الشيخ عبد الرحمن ابن نامي الموجود في مخيم عثمان المضايفي ، ولكني لا أريد أن تكون لعثمان مشاركة في الامر ، وانما أريد أن تكون بحضورك مع الشيخ عبد الرحمن ثم ترفعان لسعود) وتم الاتفاق على دخوله في الطاعة وحج عبد الوهاب وعثمان وبقية القادة ، واجتمع عبد الوهاب بغالب ، وكان مما دار البحث حوله موضوع اليمن ، فاظهر غالب رغبته في تقديم عمل للعهد الجديد يزيد في رصيد عبد الوهاب على رصيد عثمان وقال لعبد الوهاب : ان بيني وبين عامل الحديدة (صالح ابن يحيى العلفي) صلة صداقة ومكاتبة وفي وسعي اقناعه بالانتماء الى الدعوة فسر عبد الوهاب وفعلا بعث غالب الى صالح رسالة مع وفد مؤلف من العلامة الشيخ زين العابدين جمل الليل عالم المدينة المنورة والعلامة الشيخ بدر الدين الكوراني .

وذكر له في الرسالة بأنه قد دخل في طاعة سعود بعد حروب استمرت خمس عشرة سنة لانه رأى ان لا فائدة ترجى من وراء مقاومة عقيمة ، ثم عرض عليه الاتصال بعبد الوهاب الذي هو مستعد لاجابته الى كل ما يطلب من تعهد لبقائه في امارة منطقته ، وانه قد حمل وفده التفصيلات الوافية .

كان صالح في موقف لا يحسد عليه مع امام صنعاء ووزيره فقد أساءآ به الظن وشك الوزير في بعض تصرفاته المالية ، وطلبه للحضور الى صنعاء فوصلته رسالة سرية من صديق له في مكتب الوزير ينصحه بعدم الوصول ، وان الوزير عازم على مصادرته وسجنه ، ومن الناحية الاخرى فقد مضى عليه عامان وهو في قتال مع القوات السعودية التي يقودها حمود ، فكتب لغالب ما يفهم منه الموافقة ، فأخبر غالب عبدالوهاب ، فأرسل عبد الوهاب رسالة سرية الى صالح يتعهد له ان أجاب أن يظل أميرا على منطقتي (الحديدة)و(زبيد) خرج صالح من الحديدة الى بيت الفقيه بحجة اصلاح بعض الامور ، ومنها كتب الى عبد الوهاب بالموافقة وطلب الامدادات لاخذ مدينة الحديدة ثم مدينة زبيد فوصله الجواب بأنه قد كتب لرجال الامام سعود في مدينة اللحية بالتوجه اليه وأن القوات في طريقها

نحـوه .

اعـلان صالـح بن يحيى الدخـول في الطاعـــة :

وصلت قوات سعودية الى صالح في بيت الفقيه فأعلن انضمامه الى الامام سعود ، وبدلا من أن يقودها الى الحديدة سار بها الى زبيد ودخل المدينة عنوة وكـان عاملها قد تحصن هو وخيرة جنوده في القلعة وتمكن من مضايقة من في المدينة ، فاضطر صالح الى الانسحاب الى قرية التحيتا ثم أبقى فيها قوة وانسحب ببقيـة جيشه عائدا الى بيت الفقيه . وذلك في سنة ١٢٢٠.

كان حمود من أول سنة ١٢١٨ وهو في قتال مع صالح تارة له وأخرى عليه ، وانما في الغالب ـ كانت كفة حمود الراجحة ، وقد أشرنا الى تقدمه القـوات السعودية الى التحيتا وانما في المدة الاخيرة استطـاع صالح ان يسترد بيت الفقيه وبعض الجهات ، وقـد دخل صالح ـ الآن ـ في الطاعة فتبدل أمره بالنسبة الى حمود من عدو الى منافس ، وشعر بخطر هــذا المنافس الذي يعتقد أن عبد الوهاب أوجده لمضايقته ، وها هي مدينة الحديدة عروس أحلامه قد أدخلها عبد الوهاب في عهد صالح ، فكيف يوفق بين الطاعـــة ومصلحته الخاصة او بالاصح مطامحه الشخصية ؟! لندع التفسير للاحداث التي ستغني عن الاستنتاجات.

وصلت الامدادات لعامل زبيد فاضطرت القــوة الصغيرة التي في التحيتا الى الانسحاب الـى بيت الفقيه واستعاد العامل ولاء أكثر أهل بادية زبيد الذين انضموا الى صالح ، فرفع الى عبد الوهاب يستمده وعبد الوهاب مشغول بغزو نجران فلم يتمكن في ذلك الوقت من مده بالقوات ، وعلم حمود بتحرج مـوقف صالح فبعث بجيش لحصار مدينة الحديدة فأثار بذلك استياء المراقبين السعوديين الذين عنده ، لعلمهم أنها داخلة في عهد صالح فصارحوه باستنكارهم فقـال لهم : المسلمون يد على من سواهم ، وصالح وأنا كلنا خدام لسعود : رفع صالح لعبد الوهاب بتقدم حمود على حصار الحديدة ، مذكرا اياه بأنه قد أدخلهـا في عهده فأرسل عبد الوهاب ثلثمائة مقاتل على جنـاح السرعة بطريق البحر ليدخلها ولو بصـورة خفية الى الحديدة ليعينوا أنصاره والموالين له فيها على احداث ثورة على خصومه من بعض رجال الحامية، فعاكستهم الرياح واضطروا الى النزول في ميناء اللحية ، فأبقاهم عاملها وكتب الى حمود فأمره بأن يهيء لهم الركائـب التي تقلهم ويأمر الدليل بأن يجعـل طريقهم على قواته المحاصرة لمدينة الحديدة ليعلموا أن مهمتهم فات أوانها وأمر قائده بأن يطلب منهم المشاركة في حصار الحديدة لان الجميع تحت الطاعة السعودية فاعتذر قائدها بأنه أرسل الى صالح فسهل طريقهم الى الدريهمي الذي به معسكر صالح .

وصلت الاخبار الى الامير حمود بأن حملة قوية في طريقها من (صنعا) لنجدة المحصورين في الحـديدة فخرج لملاقاتها وخيم في قرية القطيع وكتب للعمـال السعوديين بأن يستحثوا جميع غزو قحطان والدواسر وعسير بالوصول اليه في القطيـع فحضروا جميعهم ، ومكث ينتظر ، وعيونه توافيه بأخبارهم أولا بأول ، ولما علم بدنوهم نهض لملاقاتهم ، والتحم معهم في موضـع يسمى المكيمنة ، عند ملتقى وادي سهام وجاحف وبعد قتال عنيف استسلم اكثر الحملـة وغنمت جميـع أسلحتهم وخيلهم ومعـــداتهم ، فبعث بخمسها الى الدرعية . وصلت الاخبار الى حامية الحديدة المحصورة بهزيمة حملة النجدة فتلاشى كل أمـل لهم في فـك الحصار ، ففاوضوا حمودا في الاستسلام فدخل بهـا في موكب الظافر ، وأعلن فتحها باسم الامام سـعود ، وأشار على الموظفين السعوديين باحصاء ما وجد في بيت مال المدينة ومستودعاتها ، وأظهر شعار دعوة التوحيد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتنبيه بالصـلاة في أوقاتها الى غير ذلك .

لم يبق تحت يد صالح الا مدينة بيـت الفقيـه وبعض البادية وظل يعيش على أمل وصول نجدة مـن عبدالوهاب يستولي بها على مدينة زبيد وينتظر مـا تسفر عنه مكاتباته في الشكوى من حمود وتعـدياته ، وحمود قد استشرت مطامعه ، فهو يخطط للاستيلاء على مدينة زبيد ، ويتصل بأهل بيت الفقيه لاستمالتهم ، وانما في دهاء وحذر ، ثم عزم على بعث سرية الى جهـة زبيد باسم اعانة صالح على أخذ المدينة ، علم صـالح فرفع الى عبد الوهاب موضحا أن حمودا لم يكتف بأخذ مدينة الحديدة فها هو يشفعه بالتمادي لاخذ مدينـة زبيد ثم جمع من لديه من الغزو ، وأضـاف اليهـم مجاهدي من بقي تحت طاعته وسار على جناح السرعة الى زبيد فخيم أمام سور المدينة ، فاذا قائد حمـود

معسكرا في الناحية الاخرى ، فتغافل عنه وأثار الحرب على القلعة ، وهو لا يعلم أن الاتصالات قد تمت بـين قائد حمود وبين العامل ووافق عليها حمود نفسـه وتتلخص فيما يأتي :

١ ـ يتعهد له حمود بسلامة جميع أمـواله وممتلكاته .

٢ ـ أن يسهل خروجه سرا من القلعة ، ويهيىء له الجمال التي تحمل أثقاله وأمواله ويضمن سلامته .

٣ ـ أن يظل نائبه في القلعة مدة شهر كامل وبعد الشهر يسلمها .

ونتيجة لهذا الاتفاق السري بعث حمود بنجـدة لقائده ، وتعليمات جديدة تقضي بالتظاهر في العـزم على قتال صالح وجنده، وفعلا عبأ القائد جيشه وصف صالح جنده وكاد القتال أن يبدأ فتوسط بعض المراقبين السعوديين بالصلح على أن يعـود كل من قائد حمـود وصالح الى جهته ، ما دام أن عامل امام صنعاء زبيـد لا يزال يعمل بمقتضاه وعلى حمود أيضا أن يرفع بدوره بالواقع ، على ذلك عاد صالح الى بيت الفقيه وانسحب قائد حمود الى بعض الجهات موريا كأنه عائد الى جهة الحديدة وظل يتربص انتظارا لانتهاء الاجل لتسلم القلعة والمدينة .

مكث صالح في بيت الفقيه ينتظر نتيجة ما تسفر عنه رسائله الى عبد الوهاب وحمود في قلق نفسي وخوف معنوي لتصرفاته ، وما سوف يلقيه عنه عبد الوهـاب ويظهر انه قد وطن النفس أن يرضى أو يتمنى أن تكون زبيد بدلا عن الحديدة لصالح اذا كان ولا بد من حـل وسط .

وصلت رسائل صالح الى عبد الوهاب بعـد أن عاد من نجران وانتظر حلول الموسـم سنة ١٢٢١ هـ ليجتمع بالامام سعود ويشرح له وجهة نظره حـول حمود ، وحج عبد الوهاب وأفضى بما يراه عن تصرفات حمود وشكاوى صالح ، (وأن حمود يتظاهر بالطـاعة وليس هو منها في قبيل ولا دبير) وأنه يرجو تقـوية جانب صالح حفظا للتوازن في تهامة اليمن ، ولم يـكن عبد الوهاب قد علم بسقوط الحديدة في يد حمـود ولا باستيلائه على مدينة زبيد التي تسلمها قائده بعد الاجل المضروب بموجب الاتفاقية السـرية . وانتهى الاجتماع بأن يرسل عبد الوهاب طامي بن شعيب عـلى رأس قوة كافية تعين صالحا على الاستيلاء على الحديدة ثم زبيد .

علم حمود بدنو حملة طامي بن شعيب ومهمتها ، وخشى أن يأمر باعادة الحديدة وزبيد الى صالح فظل في المقعد المقيم ، وانما تصرف بروية فتوجه الى مدينة زبيد التي استلمها قائده قبل برهة يسيرة وأخذ العهد من مشائخها وعلمائها ووجهائها للامام سعود ، وأعلن شعار دعوة التوحيد ، وأمر الموظفين السعوديين بجرد واحصاء مخلفات الحكومة السابقة وعمل في ذلك مـا عمله في موجودات بيت مال الحديدة وانتظر على أحر من الجمر ما يأتيه على يد طامي .

وصول طامي : وصل طامي الى قرية الدريهمي من منطقة صالح ، وكتب اليه راجيا تحديد الزمـان والمكان للاجتماع والتفاهم فحدد مكان الاجتماع ووقته في قرية اللاوية على مسافة فرسخين من بيت الفقيـه وبعد الاجتماع عاد كل منهما الى مـكانه وأفضى الى أصحابه بما يأتي :

١ ـ قال صالح ان طاميا جل ما يطلبه ويقصده هو تحصيل المال لا مناصرة الدين .

٢ ـ وقال طامي : كنت أظن صالحا أحد رجلين، أما رجل صاحب دين فيصبر على البلوى والغرابيـل حتى يصل الى طلبه. واما صاحب دنيا فيسمح للجنود بما عنده ، ولم يكن أحد الرجلين .

لقد أراد صالح بعد ذلك أن يظهر ضعف موارده لطامي فطلب منه قرضا ، فأجابه طامي : وصلنا بأمر الامام عونا لك وجندا بـين يديك ، تكتبنا في ديـوان جهتك ، وتجري لنـا ما تجريه على غيرنـا ، وها نحن عذرناك في الرواتب وانما نطالبك بصرف الارزاق حتى تستغني عنا : فلم يجد منه استجابة . فانتظر أياما ثم كتب لحمود يقول : (وصلنا بأمر الامام نجدة لصالح على أن نعينه على أخذ الحديدة وزبيد وحيث وصلنا وقد ملكتهما فأنت أمير من أمراء الامام سعود لا يحسن منـا قتالك حتى نرفع اليـه ، ويقع العمل منا ومنك بما يأمر به .

لقد كان يتوجس غير ذلك فاذا رسالة طامي تبدد مخاوفه ، وتمنحه شيئا كثيرا مـن الطمأنينة والامـن الروحي ، فتنفس الصعداء ، وأفرخ روعـه واحتفى برسوليه محمد بن أحمد المتحمي ومحمد بن علي الشعبي

ثم كتب معهما الجواب الآتي – بعد التمهيد والمجاملة : (ما اقدمنا على أخذ الحديدة وزبيد الا لما كانت عزيمة صالح ضعيفة ولا عنده جند ولا قوة ، فخشينا أن يقوى امام صنعاء ويصعب بعد ذلك أخذهما . وهما الآن تحت تدبير الله ثم الامام ، من يريد أن يوليه اياها فالنظر لله ثم له) . وذيل كتابه بالجملة الآتية : (مادعت اليه حاجتك من أمور الدنيا والامتعة والمراكيب فانا باذلون كلما تطلبون) . واجزل الصلة لرسوليه .

بعث الجواب وهو لا يكاد يصدق بما في كتاب طامي ، وهل هو حقيقة أم استدراج ، ثم هل يأتيه من طامي جواب وماذا يكون فحواه ؟ وظل على أحر من الجمر ، ومضى ما يقارب الاسبوع واذا الجواب الاخير يصله ، فاذا مضمونه : يعرفه أنه عزم على العودة الى عسير ، وانما يرغب أن يتعهد بعدم قيامه بأي حركة أو تعدي على صالح أو البلاد الباقية تحت نظره حتى يأتي الامر الاخير من سعود ، فسر حمود بهذه النهاية الحسنة ، وأجاب على كتاب طامي متعهدا بكل ما طلبه وختم جوابه بقوله بأنه مستعد بكل ما يعينه على السفر من مؤن وأرزاق وأنه هيأ سفينة تباريهم بحرا بالمتاع والهدايا .

وبوصول جواب حمود اليه اجتمع بصالح وطمأنه ورحل عائدا بعد ان أصلح بين صالح وبعض من يخشى منهم صالح الميل الى حمود .

بعد رحيل طامي توجه حمود الى مدينة زبيد ، وأخذ في استمالة صالح الذي أصبح مهيض الجناح ، ثم استدعاه لمقابلته في مدينة زبيد ، وانتهى الامر بابقاء صالح عاملا على بيت الفقه فقط وتفرغ بعد ذلك لارسال قوات الغزو الى جهات حيس وموزع والمخا وبوادي المخا التي طلب عاملها المصالحة على مال يدفعه لمدة محدودة الاجل ، فان وصله مدد فذاك والا سلم المدينة ، وبعد رأي المستشارين واطلاعهم أبرم الاتفاقية وتسلم المال ورفع الى الدرعية بما منحه الله سبحانه من الاستيلاء على تلك الجهات ، فورده الجواب بالثناء على حسن طاعته . وبذلك أصبحت حدود البلاد السعودية تصاقب باب المندب وذلك في آخر سنة ١٢٢٢ هـ .

وفي أول سنة ١٢٢٣ هـ كتب أمير جبل كوكبان الذي لا يبعد الا مسافة أربع ساعات عن صنعاء الى الامير حمود برغبته في الدخول في دعوة التوحيد والسمع والطاعة لسعود بن عبد العزيز فرحب بطلبه ، وبعث اليه بقوة تحميه فيما لو أراد أمام صنعا الاغارة عليه .

لقد كان تفاقم العداء الشخصي بين عبد الوهاب وحمود المعوق الفعال لتقدم مسيرة النهضة الاصلاحية والدعوة السلفية في جنوب الجزيرة بعد أن وصلت طلائعها الى جبل كوكبان في المشرق الجنوبي والى باب المندب في الجنوب الغربي ففي النصف الاخير من تلك السنة اشتد الخلاف بينهما وتطور الى عداء سافر ، وأخذ عبد الوهاب في الكتابة الى (الدرعية) بما يتراءى له من تصرفات حمود ، وحمود بدوره يكتب بتدخلات عبد الوهاب في شؤون المنطقة العائدة الى امارته والحد من نشاطه في نشر الدعوة الى غير ذلك ، وكانت السياسة السعودية – ولا تزال – سياسة اسلامية رفيعة ومن مناهجها حسن الظن بأهل الطاعة حتى يثبت ما يريب ، فرأى الامام استدعاء حمود ثم احضار عبد الوهاب وتنقية الموقف بينهما ، فخامر الشك قلب حمود وأخذ في التسويف مرة والاعتذار بمشاغل اليمن أخرى ، فكتب اليه : (عليك مقابلتنا في الموسم) فبعث حمود بالخراج مع رسالة يلتمس ويرجو العذر عن القدوم في تلك السنة ، فعاد اليه الجواب بضرورة المقابلة في مكة المكرمة في موسم الحج وعندما حان الحج بدلا من أن ينصاع لواجب الطاعة ويرحل بعث ابن أخيه يحيى بن حيدر معتذرا ومستطلعا الحالة في نفس الوقت ، فحج وسلم على الامام فسأله عن عمه فأخذ في الاعتذار له فقال له : (عليك ابلاغه بالحضور والا فهو العصيان) . فاتصل بعد ذلك بغالب بن مساعد – سرا – الذي هو على اتصال بالاتراك وبمحمد علي ، ويعلم أن أمر السلطان قد صدر قبل هذا التاريخ بسنة الى محمد علي بغزو الحجاز ، وان ما أخره الا انشغاله بتصفية أمر المماليك ، ومن المعروف أن كل غزو يسبقه اتصالات وتمهيدات ، والعمل على فتح جبهة أو جبهات جانبية ، وغالب من عرف بالتقلب ، فنرى رسول حمود يعود بسرعة الى أبي عريش ويأخذ

حمـود في الاستعداد وعلى أثر ذلك يصل الى اليمـن مندوب مصر اسمه يوسف القبطان ، ثم يتم الصلح بين امام صنعاء وحمـود الذي يتنازل عن بعض مكاسب الدعوة في كوكبان والمخا لقـاء بعث الامام المذكور لـه بمرتزقة من همدان وغيرهم ثم يأخذ في استمالة ابن أخيه منصور بن ناصر عامـل صبيا فيغويه فينضم اليـه ، ويتظاهر بالعصيان العلني ، فيرفع عبد الوهاب للامام سعود ، وازاء ذلك العصيان السافر صدر الامر الى عبد الوهاب بالتقدم لحرب حمود .

علم حمود بتحرك عبد الوهاب ، فاستدعى مرتزقة همدان ثم أمر بالنفير العام على أهل امارته وهو مقيم في بلـدة الزهرة يزجي الحشود الى مدينـة أبي عريش وعندما علم بنزوله من طود السراة سارع الى أبي عريش وأمر وزيره حسن بن خالد بالتقدم بالجيش الى صبيا .

قوات الجانبين : ١ ـ يقـدر ابن بشـر قـوات عبد الوهاب بخمسين ألف مقاتل .

٢ ـ ويقدرهم صاحب « نفح العود » بأنهم فـوق عشرين ألف مقاتل .

٣ ـ يقدر صاحب « نفح العود » جيش حمود بسبعة آلاف مقاتل من المشاة وثلثمائة فارس .

٤ ـ يذكر ابن بشر أن حملة بحريـة اشتركت في المعركة بغارة على مؤخرة حمود ودخلت مدينة جازان وأعتقد أن تقدير ابن بشر مبالغ فيه ، كما أن تقـدير صاحب « نفح العود » أقل من حقيقة تعـداد جيش حمـود والاقرب الى الحقيقة أن جيش عبد الوهاب لا يزيد على العشرين الفا وأن جيش حمود عشرة آلاف

وفي أول شهر جمادى الاولى سنـة ١٢٢٤ هـ نزل عبد الوهاب من عقبة مناظر وتقدم حمود ببقية جيشه من أبي عريش الى مركز تجمعاته بصبيا ثم نهض منها وضرب معسكره بظاهر قرية أم الخشب مما يلي قرية السلامة العليا .

وأقبل عبد الوهاب في تؤدة وأناة حتى خيم في مسيل وادي بيش قبال جيش حمود على مسافة خمسـة أكيال شرقا ، وظل كل منهما ينتظر هجوم الآخر ، في تحسب وحساب لكل خطوة ، حتى علم حمود أن عبد الوهاب قد عزم على تدبير خطة للتقدم مـن معسكره بطريق الحزن الى صبيـا ليقطع خط رجعته ، ولو تـم ذلك لكانت خطة بارعة ، فأراد أن يشعره بيقظته لما يدبره فبعث رعيلا من الفرسان للاغارة على معسكره فنشب القتال بينه وبين فرسان عبد الوهاب ، فانهزمت خيل حمود والتجأت الى معسكرها وسادا الهرج والمرج في المعسكر وانما عرف حمود كيف يعيد الهدوء والنظام في معسكره ثم أخذ طـول ليله في تدبير خطة هجـوم انتحاري على معسكر عسير خاصة الذي يتوسطه مخيم عبد الوهاب .

وفي فجر يوم الاثنين الموافق ٢٩ جمادى الآخرة تقدم في خيرة فرسانه ومشاته في سرعة وتصميم صوب خيام عبد الوهاب ومعسكر عسير . ويقـول ابن بشـر : ان الهجوم وقع قبل استعداد عبد الوهاب للملاقاة وانه حصل قتال كاشتعال النار ، وثار الرهج وارتفع النقع حتى لم يعرف الرجل رفيقه القريب ، وتنبه المعسكر المتـرامي الاطـراف وأقبـل مـن كـل جـانب علـى الاشتراك في القتال فانهزم حمود وجيشه ، وفي ذلك الهجوم صرع (عبد الوهاب) ولم يشعر أحد الجيشين بمصرعه ، واندفعت جيوش عبد الوهاب وراء المنهزمين كالسيل العارم واللجب المتلاطم ، والتفت حمود فاذا لم يبق حوله الا جماعة من ذوي الحمية والحفاظ فشق بهم طريقا الى معسكره بعد اليأس مـن الحياة فألفى المعسكر خاليا مقفرا لا تنبس فيه نأمـة ولا تتنفس في أرجائه نسمة ، وكان الوقت صيفا ، والريح عاصفة تسفي الغبار الذي يحجب ضوء الشمس فوق رهـج المعركة وعثير النقع ، فانسحب من المعسكر في سرعـة صوب الجنوب ، والمطاردة تتعقبه وتتعقب فلول جيشه حتى وصل صبيا في آخر ذلك اليوم ، فتوقف بظاهر البلدة ، ولم يبق من جيشه معه الا العـدد اليسير ، وبينما هو يتجرع مرارة الهزيمة في صمت ووجوم اذ أقبل عليه ابن أخيه منصور بن ناصر وفي يده مرآة مما يزين بها لجم الخيل ، قائلا : وصل الي الآن رجـل يحمل هذه المرآة يذكر أنه وجد فارسا مقتولا وفرسه واقفا بازائه فأخذ المرآة ووصل بها الى ميدان المعركة: وبما أني أعرف أن هذه المرآة هي زينة فرس عبد الوهاب فبدون شك أنه هـو القتيل ، فصمت حمود لحظـة

ثم قال : ان انجلت هذه المعركة ـ مع ما نالنا من الهزيمة ـ عن قتل عبد الوهاب ، فكل أمر بعده جلل، ثم رحل من ساعته الى أبي عريش فدخله مع شروق الشمس فوجد المدينة قد غادرها سكانها ولم يبق فيها الا سكان حي الديرة ـ أسرة الامير ورهطه ـ وقد هرب الجيش الاحتياطي الذي أبقاه فيها الا الاقل ، ولو كر الجيش المنتصر تلك الليلة أو ذلك اليوم لاستولى عليها بدون قتال ، وانما قتل قائده أفقده حسن التصرف في استغلال مكاسب المعركة .

وفي أثناء المعركة افتقد الجيش قائده فأخذ في البحث حتى عثر على جثمانه وفرسه واقفا عند رأسه بدون رشمة ولا لجام فواروه الثرى ، واتفق بقية القادة على ارسال رسول الى قريبه طامي بن شعيب الذي يقود الحملة البحرية التي نزلت في مدينة جازان وبوصوله ولوه القيادة موقتا ورفعوا بالواقع الى الدرعية وتقدموا الى صبيا فاستولوا عليها صلحا ، وبدلا من أن يتقدموا الى مدينة أبي عربش ساروا الى قلعة ضمد وبعد أن أقاموا على حصارها عشرة أيام عادوا الى عسير ، مما جعل صاحب « نفح العود » يعلق على تلك العودة بعد ذلك النصر ودون تحقيق الغاية بما معناه أنها عودة غير مخلصة .

انقضت بقية سنة ١٢٢٤ وسنة ١٢٢٥ والغارات التأديبية تتوالى على حمود ، وقارن هو بين ماضيه في جلال الطاعة وعز الدعوة وبين حاضره في غارات وقتال من الشمال ، ومصانعة لامام صنعاء وتنازلات اقليمية لمكاسب النهضة الاصلاحية السعودية ومعطيات الدعوة السلفية ، مع ما يستنزف موارده من رواتب وأعطيات للمرتزقة من همدان وغيرهم ، والذين يدينون بولائهم الروحي لامامهم أصدق من ولائهم لدراهمه ، يضاف الى ذلك أن غزو محمد علي الى مستهل عام ١٢٢٦ لم يتحقق آنذاك كما كان أغراه البعض على حسابه . كل ذلك أعاد اليه صوابه فاتصل بأمير صعدة ليبذل وساطته لدى الامام سعود في عودته الى سابق عهده ، وماضي ولائه ، يقول صاحب « تكملة كتاب نفح العود » : (ودخلت سنة ١٢٢٦ هـ فسعى محمد بن القاسمي أمير صعدة في اصلاح ذات البين وتلافي ما وقع واجلب عليه الحين ، بين سعود وحمود ، وتم الصلح والسداد على ما يرام) ويقول صاحب كتاب « اللطائف السنية » : (وتم الصلح على أن يبقى على تهامة ويعتزي اليهم) . ونلاحظ أن ذلك لم يرق لامام اليمن فأثار الحرب ضد حمود على حدود حيس وكحلان وغيرها حتى تمكن حمود في عام ١٢٢٩ من دحر قواته في موقعة مختارة .

كما لم يوافق ذلك هوى والي مصر محمد علي الذي كان على وشك تنفيذ المخطط العثماني الرامي لغزو الحجاز تمهيدا للقضاء على النهضة الاسلامية الصحيحة .

لقد وصل محمد علي الى جدة في شعبان سنة ١٢٢٨ بعد سقوط المدينة المنورة في يد ابنه طوسون واستيلائه على مكة المكرمة والطائف غدرا بمساعدة أمير مكة غالب بن مساعد بدون قتال .

ورأى محمد علي أنه لن يحصل له النصر المرتقب الا بشطر الجزيرة وعزل شمالها عن جنوبها ، فتقدم من الطائف على رأس قواته في سنة ١٢٢٩ فلم يصل الى بلاد عسير الا في ٣٠ ربيع الاول سنة ١٢٣١ بعد قتال يشيب له الوليد .

فاضطر حمود كما اضطر غيره الى مصانعته ومكاتبته ولم يجبه محمد علي الا على رسالته الرابعة اجابة بلهجة المترفع المبطنة بالتقريع .

وفي شهر جمادى الآخر ة سنة ١٢٣٠ عاد محمد علي الى مصر بطريق الحجاز ، وفي ثلاثين من شهر شعبان القى حمود القبض على ابن اخيه يحيى بن حيدر ـ الذي أشرنا قبل هذا ـ انه اتفق بـ (غالب بن مساعد) وأودعه السجن ، فتوجه علي بن حيدر ومنصور ابن ناصر ابنا أخوي حمود مغاضبين الى قائد محمد علي ، حسني باشا بمكة المكرمة وشكوا من تصرفات عمهما وطلبا المساعدة على اقصائه عن الامارة، فأكرمهما ووعدهما بمساعدتهما بعد الانتهاء من حرب نجد .

في أول سنة ١٢٣١ ثار العسيريون بقيادة محمد بن احمد المتحمي على جيش محمد علي فانسحبت فلوله برا الى الطائف وبحرا من ميناء القنفذة الى جدة .

علم ابراهيم بن محمد علي بثورة عسير ـ وهو يحارب في نجد ـ فأصدر أمره لقائده في الحجاز حسني باشا بالتقدم الى جبهة عسير وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢ فتقدم واستولى عليه فاختفى قائد الثورة محمد بن أحمد في جبل تهلل ، وبعد أن هدأت الاحوال في عسير عاد حسني باشا الى الحجاز وبعودته ظهر محمد بن أحمد من مخبئه ، ونادى بالجهاد ضد الغزاة ، وهاجم الجيش الذي قاده حسني باشا ، فلم يحالفه التوفيق ، وهزم ثانية ، وعمل المال عمله ، فتفرق الناس عنه ، فاضطر الى الاعتصام في معقله ، ثم اتفق مع زميله زعيم قبيلة بني مغيد بن مجثل ، على استدعاء حمود أبي مسمار الذي يتفق معهما في الولاء للنهضة الاصلاحية ، وفي بعض الغزاة الواغلين .

استجاب حمود لندائهما وبعث جيشا الى عسير بقيادة وزيره حسن بن خالد وفي أول بلدة رجال المع التقى بجيش لمحمد علي بقيادة القائد جمعة وعلي بن حيدر ومنصور بن ناصر فالتحم معه في معركة انتهت بهزيمتهم وتراجعهم الى مركز انطلاقهم في بلاد حلي ابن يعقوب .

فوالى تقدمه حتى ارتقى جبل تهلل الاشم ، وهناك تحرج موقفه فاستنجد أميره حمودا الذي تقدم بنفسه على رأس جيش قوي ، فتراخى عزم المعارضين وأقبل الموالون ، فاستولى على جميع بلاد عسير فاذا جيش اخر لمحمد علي ، بقيادة سنان آغا ومنصور بن ناصر يتسنم عقبة شعار صاعدا لقتاله فأسرع لملاقاته ، والتحم معه في معركة طاحنة قرب قرية الملاحة من بلاد بني مالك ، انجلت عن ابادة ذلك الجيش وقتل سنان آغا ومنصور بن ناصر .

وتجمع مصادر تأريخ الجنوب ، بأن حمود توفاه الله بعد أيام من انتهاء تلك المعركة التي خاض غمارها وقد ابتدأت به علة المرض وان وفاته كانت في يوم الاثنين الموافق ١٤ ربيع الاول سنة ١٢٣٣ هـ ولم تشر تلك المصادر الى اسم اليوم ولا الى التأريخ الذي دارت فيه رحا المعركة ، كما انها لم تشر الى أي علاقة أو ارتباط بين استيلاء حمود على عسير وبين المعركة الرئيسية الدائرة بين الدولة السعودية ومحمد علي .

وهنا نتساءل :

١ ـ في أي يوم وأي تأريخ ـ على وجه التحقيق ـ دارت رحا معركة (الملاحة) بين حمود وسنان ؟!

٢ ـ هل توفي حمود أبو مسمار ـ حقيقة ـ في ذلك التأريخ أي في ١٤ ربيع الاول ١٢٣٣ ؟!

٣ ـ هل كان استيلاء حمود على عسير جزءا من مخطط معركة الدفاع الرئيسة ، أم انتهاء فرصة مع اندفاع خاص منه كما نفهم من تلك المصادر ، واستجابة لنداء وافق رغبة ومطمح وهوى ؟!

وأقول بكل تواضع ، انه بعد مضي ١٦٠ سنة ـ وبفضل الله تعالى وعونه أكون أول من اكتشف الحقائق الاتية :

١ ـ أن معركة الملاحة كانت على وجه التحقيق في يوم الخميس الموافق ٢٤ ربيع الاولى سنة ١٢٣٣ .

٢ ـ ان صحة تأريخ وفاة (حمود أبي مسمار) في يوم السبت الموافق ١٠ ربيع الثاني سنة ١٢٣٣ لا في يوم الاثنين الموافق ١٤ ربيع الاول من تلك السنة .

٣ ـ أن استيلاء حمود على عسير هو من ضمن مخطط الدفاع السعودي ، وانه بالرغم من تلك الايام الحالكة والمعارك الدائرة في قلب (نجد) لم تنقطع اتصالات الدولة الام عن البلاد التابعة لها كما ان تلك البلاد لم تتخل أو تقصر عن ولايتها للدولة السعودية ، وان معركة الملاحة هي معركة فرعية من معركة المصير الواحد ضد الغزاة .

والدليل على ذلك هو دليل مشاهد مقروء ، يتألف من رسالة تأريخية جوابية من وزير حمود أبي مسمار الى الامير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز السعود على رسالة موجهة الى حمود قبيل وفاته . وهي أشبه ما يكون بتقرير مرفوع من قائد أحد الميادين الى القائد العام عن معركة (الملاحة) والاجراءات الحربية ، والادارية التي تمت بعدها ، كما تشير رسائل متبادلة قبلها بين (العاصمة) وحمود .

وها هو نصها الحرفي : بسم الله الرحمن الرحيم .

من حسن بن خالد الى الامير عبد الله بن سعود

ابن عبد العزيز آل سعود .. واياه بالباقيات الصالحات سلام الله عليكم ورحمتهوبركاته : وبعد فموجب الخط ابلاغك السلام والسؤال عن حالك احال الله عن الجميع كل مكروه وحسن بن شداد وصل الخطوط التي صحبته وصلت ، والحمد لله على عافيتكم .

وكان وصول الخطوط بعد أن اختار الله للشريف (حمود) ما عنده ، وانتقل من هذه الدار الفانية الى الدار الباقية : على أحسن حال (...) وكان وفاته لعشر مضين من شهر ربيع الاخرى . فالله المسؤولأن يرحمه ، ويكرم نزله ، فلقد مات مجاهدا في ذات الله.

وكان وفاته بعد أن جمع الله بيننا وبين أعداء الله من الترك وغيرهم ، لاربعوعشرين مضين من شهر ربيع الاولى ، وأخذ الله أعداء الله من الاروام ، واستولى على كل ما معهم ، وعلى ما جروه من المدافع والقنابر ، وقتل مقدمهم سنان آغا كما أخذ القرى وهي ظالمة « ان أخذه أليم شديد » وقتل من الاتراك أكثر من ألف قتيل والحمد لله وحده صدق وعده ، ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده .

وتوفاه الله بعد أن أخذ الله الجنود الفاجرة على يديه . وبعد ذلك من كان من العساكر من الجنود الذي جمعهم من أهل الدينار والدرهم رجعوا الى بلادهم ، وأخذهم الله كما أخذ الترك .

وبعد نفوذهم أعاننا الله على جمع شمل المسلمين وعاهدوا الجميع من عسير وغيرهم على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والموالاة والمعاداة والسمع والطاعة في العسر واليسر .

ومن بعد وجهنا المسلمين الى من تمتن من أهل الردة ، من أهل وادي شهران من أهل تندحة ودمر الله جملة قرى في وادي تندحة وشهران ، وبلاد عسير وحال تخط الخط والسجن ملآن من أشرار أهل الردة، وباشات الترك ، والخيل التي بأيدي كل من والىالترك بأيدينا ، وأخذنا حلقة من رأينا أخذ حلقته ، وتأريخه وقد عاهدنا جبيدة وزفيدة اليمن ، بعد أن أخربنا ديار من أراد الله وعاهد جميع شهران وبني شهر ، وعاهد جميع بني بشر وبالاحمر والاسمر ، وصار حد المسلمين الى شريف وسنحان ، وهم يكتبون الينا ، ورجال المع عاهد الجميع على العمل بكتاب الله ، وسنة رسوله ، كما قد ذكرنا لكم .

وتأريخه والمناخ الذي نحن فيه قد اجتمع فيه من المسلمين أكثر من عشرة آلاف ، وصدرت ونحن مستعينون الله ومستنصرونه ومثورون لجهاد أعداء الله نسأل الله الثبات في الامر ، والعزيمة على الرشد، ونسأل الله أن ينصر دينه وكتابه « وما النصر الا من عند الله » .

وقد بلغ استيلاء هذه الطائفة الكفرية على الوشم والقصيم ، وسدير ، ودخولهم أضرما ، واضطراب العارض ، وهذه ثمرات الذنوب ، نسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا ، واسرافنا في أمرنا ، ويثبت أقدامنا ، وينصرنا على القوم الكافرين .

والعبد المسلم لا يستوحش في طريق الهدى لقلة سالكه ، والاعتصام بالله والتمسك بحبل الله هو رأس النجاة ، ولا ينبغي للمسلم أنيفتقر الى غير الله ، نسأل الله الهداية الى الصراط المستقيم .

جواباتكم صحبت محمد الحويك وصلت وقت وفاة الشريف ، وأرسلنا الخطالذي منكم اليه الىالولد أحمد بن حمود ، وصدر اليكم جوابه وهو معاكمانشاء الله ، وقائم بغاية الهمة في جهاد أعداء الله ، نسأل الله أن يثبته ويسدد خطاه وأن يأخذ بناصيته الى ما فيه الخير ، والولد شبيب وصل الينا بعد الحرب (نحو عشر كلمات غير مفهومة لتآكل الورقة) . انتهى .

ان سقوط ضرمى هو في ١٧ عشر ربيعالاخر سنة ١٢٣٣ ، ونقدر أن الرسالة كتبتفي شهر جمادى الاولى الذي بدأ حصار الدرعية في ٢٩ منه .

لقد أشرنا في أول هذه المحاضرة الى الرسالة التأريخية الصادرة من الامام عبد العزيز بن محمد الى أهل المخلاف السليماني ـ منطقة جازان حاليا ـ قبل ١٨٠ عاما ، والان نختتمها بالرسالة الصادرة من أحد أبناء ذلك المخلاف الى حفيده عبد الله بن سعود بن عبد العزيز .

جازان **محمد بن أحمد العقيلي**

قالوا في عدد :

المملكة العربيّة السعوديّة

الادب السعودي الحديث
ومجلة الثقافة الدمشقية

بقلم : سمر روحي الفيصل

ليس في وسع المرء دراسة الادب السعودي ، او غيره من الاداب من غير ان يطلع اطلاعا دقيقا على الاعمال الابداعية وفي حالة الادب السعودي بالذات يطغى على الدارس ركام الدعاوى القائلة بطغيان الاتجاه الكلاسيكي المغرق في محافظته الى درجة التعصب ٠ ان الواقع لا يقول ذلك ، ولا ينطق باتجاه وحيد الرؤية ، بل هو اقرب ـ اذا شئنا التبسيط ـ الى الحداثة المعروفة عند ادباء الكويت واليمن الشمالي والجنوبي ، ما عدا البحرين التي تتميز باتجاه اكثر تقدمية تحمل مجلة ـ كتابات ـ لواءه ٠ وعلى اية حال فان هذا الحكم ينبغي ان يؤخذ في دلالته العامة ، لاننا لم نطلع اطلاعا دقيقا على الادب السعودي الحديث ، وان كانت بشائر هذا الادب ممثلة في مجلتي ـ الفيصل ـ و ـ المجلة العربية ـ ٠ ولعلها مناسبة حسنة تلك التي جعلت مجلة ـ الثقافة ـ الدمشقية تغادر سورية الى السعودية بحثا عن صورة الادب السعودي في بلاده ، فقد كان محصول هذه الرحلة هو مواد العدد الخاص بالادب في المملكة العربية السعودية ـ تشرين الاول ـ ١٩٧٧ ـ ، وهو عدد مزدوج في ـ ١٢٨ ص ـ من القطع الكبير ٠

يحدد الشاعر مدحة عكاش رئيس تحرير مجلة الثقافة مسار العدد على النحو التالي : ـ في هذه البداية الخيرة ما كنا لنعير الموضوعات كبير الاهمية ، من حيث حداثتها او قدمها ، ذلك لاننا ـ وبكل تواضع ـ نهدف الى ما هو

اسمى من ذلك · أجل نهدف الى ازالة هذا التعتيم المطبق الذي احاط ادب المملكة وادباءها ـ بسبب او دون سبب ـ وتقديم هذا الادب الى قراء العربية في كل صقيع من اصقاعهم ـ ·

الواضح ـ اذن ـ ان بعثة مجلة الثقافة ، المكونة من الشاعر مدحة عكاش رئيس التحرير ، والاستاذ ابراهيم حريب المشرف على المجلة ، لم تكن تضع في حسبانها رسم جانب واحد من الادب السعودي الحديث ، لانها تسعى الى غاية ابعد من ذلك هي التعريف بالادب السعودي عموما · ولعلها ارادت القول ان الادب السعودي الحديث متعدد الاتجاهات بين محافظ ومتردد وحديث ، ولا يجوز للقائم بمهمة التعريف به ان يقتصر على جانب دون اخر · والحقيقة اننا ـ على الرغم من اختلافنا الجزئي مع هذه الرؤية ـ نؤمن بجدوى هذا العمل ، انطلاقا من معرفتنا بأن الادب السعودي الحديث بدأ يتردد في الاعلان عن نفسه بين الاعوام ١٩٢٤ ـ ١٩٤٥ ، وقد تسمح لنا معرفتنا الاولية بهذا الادب القول ان صورة الادب الحديث بقيت مترددة حتى اواسط الستينات حيث اخذت الاتجاهات الادبية تتمايز بين حديث ينظر الى العصر ، ومحافظ يرى الحاضر بعين الماضي ·

ان عدد مجلة الثقافة ينم عن هذين الاتجاهين معا ، ومن هنا استطيع القول بأنه وفق في رسم صورة الادب السعودي الحديث والمأمول ان تتابع المجلة جهودها لاضفاء الحركة على هذه الصورة · وقد يحسن التنبيه الى سبع دراسات ضمنها العدد الخاص ، لانها متميزة في الافصاح عما يعتمل في نفوس الادباء السعوديين من طموحات تؤول في نهايتها الى العمل الدؤوب لتطوير وعصرنة الادب في مستوياته كلها · من هذه الدراسات ما كتبه الدكتور منصور ابراهيم الحازمي بعنوان ـ معالم التجديد في الادب السعودي ـ ، وما كتبته اسيمة الشهيل بعنوان ـ الادب السعودي الحديث في الميزان ـ ، وما كتبه عزيز ضياء بعنوان ـ اصالة الانتماء الى الارض ·

من اكثر دراسات العدد دقة ما كتبه الدكتور منصور ابراهيم الحازمي بعنوان ـ معالم التجديد في الادب السعودي بين الحربين العالميتين ـ · ولعل الفقرتين اللتين بحث فيهما دور المؤثرات الخارجية ، ودور النقد ، هما المؤشر الحقيقي لدراسته · فقد رأى ان الادباء السعوديين صحوا فجأة فلم يجدوا عندهم ادبا يواكب الادب المعروف في الاقطار العربية المجاورة لهم ، ولم يستطيعوا في الوقت نفسه تحقيق النقلة الحضارية ، ولهذا راحوا يفتحون ابوابهم للتأثيرات الخارجية · غير ان الجديد هنا هو الروح التي ابعدتهم عن التأثر بالاداب الغربية ، وجعلتهم يقتربون من ادباء مصر وادباء المهجر ، للصلات الدينية والعربية ، ولان الساحة لم تكن مستعدة بعد للتعرف على الاداب الغربية دون الغرق في لجتها حتى الضياع · ويبدو للدارس ان هذه النظرة تحتاج الى تعديل طفيف هو ان ادباء مصر انفسهم تأثروا في الفترة نفسها بالاداب الاوروبية والفرنسية بخاصة ومن هنا كان الادباء السعوديون يتصلون بالاداب الغربية بعد مرورها على الجمارك العربية · والدليل على قولنا ان الدارس يلمح تأثير الحركة الرومانسية العربية في الشعر السعودي بين الحربين ، وبخاصة تأثير مدرسة ابولو وشعراء المهجر ، بحيث لا ينجو اديب ـ في الغالب ـ من هذه الرومانسية في صورتها العربية لا الغربية ·

على اية حال فان تخلف النقد السعودي ، وانصرافه الى المعارك الشخصية ، وبعده عن الروح المنهجية ، قد ساهم هو ايضا في اطالة عمر البحث عن الشخصية الادبية السعودية النابعة من خصوصية البيئة · لم يكن للنقد السعودي بين الحربين وجهة او قضية عامة · كان ضائعا في خضم النقدات الصحفية ، متأثرا بالنقد الادبي في مصر · ولعل الانتعاش الذي لحقه في العقد الاخير كفيل بتحطيم صنم التردد الى غير رجعة · وفي اعتقادي ان هذا النقد انتهى الى نتيجة طبيعية هي استحالة الفصل بين الادب العربي ، وان الاتجاهات المحلية ما هي الا صورة مصغرة للاتجاهات الادبية في العالم العربي ·

حمص ـ سمير روحي الفيصل

رسائل الاصدقاء

أخي د. عيسى الناعوري أمين عام مجمع اللغة العربية في عمان المحترم

تحية الاخوة والصداقة وبعد :

أستهل رسالتي هذه مهنئا لك بسلامة العودة من ايطاليا بعد أن شاركت فيمؤتمر « سبوليتو » حيثكنت وحدك في المؤتمر بسبب عدم تمكن زميليك الآخرين من المشاركة بسبب بدء الدراسة في جامعة عمان كما أهنئك بنجاحك في المحاضرة التي ألقيتها باعتبارك الرئيس لاول جلسة عقدت في المؤتمر وهي بعنوان « حركات التجديد في الشعر العربي » منذ العصر الاندلسي الى اليوم مع ترجمات ايطالية عديدة لنماذج مختلفة من الشعر العربي من مختلف العصور . وكانت محاضرتك كما ذكرت لي في رسالتك المؤرخة في ١٨ـ١٠ـ١٩٧٧ في مدينة روما ، وفي مركز ثقافي عربي يديره صديق عربي هناك ، حيث كان جمهور المستمعين كبيرا .. وكأنني اذكر انك في المؤتمر الماضي شاركت في موضوع مماثل لهذا الموضوع .

هذا ولا بد أن أنوه بأن عدم مشاركتك في مؤتمر الادباء في ليبيا سيترك فراغا كبيرا بين الادباء المشاركين في هذا المؤتمر .

كما أهنئك بالموافقة على اصدار مجلة المجمع الناشىء في عمان لان المجمع بهذه الظاهرة سيمارس نشاطه بالانفتاح الثقافي على بقية المجامع في دمشق والقاهرة وبغداد .. اضافة الى المحافل والمجامع في العالم .

صدر الجزء الثامن من الموسوعة الموجزة في حرف الدال ، هذا الجزء جاء حافلا هذه المرة بحيث ضاعف في حجمه وقد تمكنت من اضافة عدد كبير من الصور التوضيحية له بحيث زادته جمالا وأناقة ووضوحا . ولا يفوتني أن أذكر بهذه المناسبة بأنني تحدثت فيجملة ما تحدثت في هذا الجزء عن كتابك « دراسات في الآداب الاجنبية » وديوان صيدح وديوان دنيا على الشام للشاعر سليم الزركلي وديوان ميخائيل الله ويردي ، ومسرحية « ديوجين للشاعر المسرحي عدنان مردم بك، كما تحدثت عنالشاعر الايطاليدانتي، والكاتبالروسي دستويفسكي ، والكاتب الانكليزي ديكنز ، وعنالدميري والدوالي ودحية الكليبي .. وغيرهم كثير ممن ستجد تراجمهم في هذا الجزء من الموسوعة .

أخيرا أحييك مرة أخرى تحية الوداع على أمل اللقاء في الرسائل القادمة وقد حملت الانباء السارة الجديدة .

حفظك الله أيها الاخ الكريم

حسان الكاتب



● « مسجد قرطبة » ابداع عمراني خالد وصرح حضاري عربي تليد ، محاضرة ألقاها الاستاذ (محمد كامل فارس) يوم ٢٢/١٢/١٩٧٧ في المركز الثقافي الاسباني ـ رافق المحاضرة صور شفافة ..

● مجلة « بحوث جامعة حلب » أصدرت عددها الثاني والمجلة سنوية تعنى بالبحوث العلمية والدراسات غايتها المساهمة في ربط البحث العلمي بعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية (هيئة تحرير المجلة هم السادة الدكاترة : خالد الماغوط ـ لرئاسة التحرير (وكيل جامعة حلب للشؤون العلمية) ـ تاج الدين ضياء من كلية الهندسة ـ عبد الكريم شحادة من كلية الطب ـ عبد الرحمن ابريق من كلية الطب البيطري ـ صالح القادري من كلية العلوم ـ اسماعيل سفر من كلية العلوم الاقتصادية ـ عباس فارس من كلية الزراعة ـ وهيب طنوس من كلية الآداب ـ فرج الله فتحي ـ مساعد التحرير ـ العدد يقع في (١٠٢) صفحة من القطع الكبير ـ تهانينا لجامعة حلب والى مزيد من النشرات العلمية المفيدة .

● «جيل الثورة» المجلة الفصيلة الطلابية للدراسات الفكرية والسياسية والاقتصادية والتي تصدر عن المكتب التنفيذي للاتحاد الوطني لطلبة سورية أصدرت عددها الجديد (صيف وخريف عام ١٩٧٧ ب / ١٣٠ / صفحة من القطع الكبير ، تضمن العدد دراسات وبحوثا في مواضيع شتى تهم الطلبة كما تضمن ملحقا للادب والفن

● تشكلت لجنة وطنية للتعريب في القطر العربي السوري تعمل مع وزارات التعليم العالي ، التربية ، الثقافة ، الاعلام ، الصناعة .. وذلك لتوحيد المصطلح العلمي العربي الموحد والتحضير للمؤتمر الرابع للتعريب ـ الدكتور شاكر الفحام وزير التربية قال : ان هذه اللجنة ستكون أفضل حل لمشكلة تعدد المصطلحات العلمية بمختلف الاختصاصات، كما ان الحجج ومختلف الجهود التي بذلت وتبذل في ميدان التعريب ستقدم العون للعاملين في مجال الترجمة والتعريب من جهة وستفسح المجال أمام الباحثين العلميين في استخدام أفضل المصطلحات العلمية ، من جهة أخرى سيكون مجمع اللغة العربية في دمشق هو المرجع الاساسي للتعريب في القطر ..

● صدرت في بيروت حديثا ـ الطبعة العربية الجديدة من كتاب « مرجع اليونسكو الجديد في تعليم العلوم » وقد نقله الى اللغة العربية ـ أحمد شفيق الخطيب ـ بكالوريوس في العلوم ـ ماجستير في الآداب والناشر لهذا الكتاب مكتبة لبنان ويمثل هذا المرجع الكتاب الاكثر رواجا بين مطبوعات اليونسكو في العالم اذ ان الطبعة الاولى منه ترجمت الى حوالي ثلاثين لغة

وبيع منها أكثر من مليون نسخة ، وها هـو في متناول العالم العربي يضع بين أيدي المعلمين والتلامذة وسيلة من أنجع الوسائل لنشر المعرفة وتنمية تعليم العلوم — يضم هذا الكتاب أكثر من ٤٠٠ صورة وجدول ويتوزع بين أربعة فصول هي موارد ومرافق وطرق تعليم العلوم ، العلوم الطبيعية ، علوم الاحياء — علوم الارض والعلوم الفضائية وفيه مسرد ألف بائي الذي يتضمن قائمة باللغات العربية والفرنسية والانجليزية لحـوالي ١٦٠٠ كلمـة مـن الكلمات التي جـاء ذكرها في الكتاب والتي يكثـر استعمالها في تعليم العلوم .

● «يوميات مدينة كان اسمها بيروت» كتاب صدر حديثا في بيروت للشاعر نزار قباني .. وهذا الكتـاب يعتبر الثاني عن بيروت للشاعر القباني بعـد مجموعته الاولى التي صدرت قبل شهور بعنوان « الى بـيروت الانثى ، مع حبي » .

● أنست مجلة « الثقافة » بزيارة الاستاذ نـزار الزين صاحب مجلة العرفان الذي قـدم الى دمشـق لبعض شؤون مجلته .. فأهلا وسهلا بالاستاذ الزيـن في دمشق .

● « شعر التفعيلة » كتاب جديد للدكتور «النعمان القاضي » استـاذ الادب العربي في جامعـة القاهرة — يعالج فيـه شعراء التفعيلة والتراث . الكتـاب يبـين علاقـة الشعر الجديـد بالتراث العربي والموشحـات الاندلسيـة .

● صدر في دمشق الجزء الثامن من المجلد الثاني من « الموسوعة الموجزة » في حرف الدال تأليف حسان ابن بدر الدين الكاتب وقد طبع بمطابع ألف بـاء الاديب بطباعـة أنيقة فاخـرة ويقـع في (١٥٢) صفحة مـن القطع الكبير .

● معرض الكتاب الدولي ، اقيـم في الرياض في المملكة العربية السعودية اشترك فيـه ١٢٠ ناشـرا عالميا وعدد كبير من الناشرين العرب بالاضافة الى جميع دور النشر السعودية وقد استهدف المعرض الوقوف على أحدث ما أبدعه الفكر البشري في الفنـون والآداب والعلوم الطبيعية من خلال الكتب المعروضة ..

● عبـد المعين الملوحي — الشاعر والكاتب العربي السوري أصبح بروفسور شرف في جامعة بكين، ذكرت هذا النبأ وكالة أنباء الصين ، وقالت : انه في احتفـال أقيم في بكين منح الشاعر الملوحي هذا اللقب ، والملوحي يعمل في مجلة « بكين ريفيو » الاسبوعية كخبير لغة .

● الكاتب الفرنسي «جان ماري روار» فاز بجائزة « انتراليه » الادبية لعام ١٩٧٧ وذلك عن روايته الثالثة والاخيرة « نيران الحكم » .

● في باريس صدرت مـؤخرا الترجمة الفرنسية لمجموعـة القصص القصيرة الاخـيرة للكاتبة الالمانيـة (ش) — آنا سيفرز — وهي بعنوان « هـذه الزرقة ، تمامـا » .

● في دراسة جديـدة حول مسرحية « عطيـل » للشاعر الانكليزي «شكسبير» يقول الدكتور البروفسور « بورمان » ان قصة هـذه المسرحية ليست لشكسبير وان هذه القصة قـد ظهر أصلها في مجموعـة قصص طبعت عام ١٥٦٥ لكاتب ايطالي يدعى « سبينتو » ولم تترجم الى الانكليزية الا في القرن الثامن عشر . ويتحدث الكاتب عن القصة الاصلية فيقول : انها تحكي قصـة مراكشي قتل زوجه البريئة التي تزوجته بالرغم عنهـا لان صديقا يخبره عن علاقة قامت بين الزوجة وقائـد السفينة المسافرين على ظهرها وذلك بعد أن استطاع هذا الصديق سرقة منديل زوجة عطيل ووضعه في مكان مـا في طريق عطيل ، ويقتنع هـذا بخيانـة زوجتـه ويقتلها ويأتي العقاب في النهاية حين يندم البطل عطيل ويفصل صديقه عن العمل فيلجأ هذا الاخير الى المحاكم التي تحكم على عطيل بالنفي .. وهنـاك يقتله أقربـاء زوجته ومن ثم يموت صديق البطل بتهمة أخرى ضـد صديق آخـر ، ويعلق البروفسور بورمـان على ذلك بقوله : « لقـد استطاع شكسبير أن يحول القصة الى مسرحية جيدة .. وأن يلتزم بوحدة الموضوع ووحدة الزمان والمكان .. ويضيف أن شكسبير لم يقدم حبكة جديدة ولكنه وجد في القصة موضوعا جيدا يربط بين

الفكر والعاطفة فأعـاد صياغتها لتقـدم على المسـرح خلال ساعتين .

● «الفكر العربي في عصر النهضة» ١٧٩٨–١٩٣٩ كتاب صدر حديثا عن دار النهار للنشر في بيروت والكتاب من تأليف ألبرت حوراني الموضوع أصلا باللغة الانكليزية قام بترجمته الى اللغة العربية « كريم عزقول » .

● أقيم يوم الخميس (الساعة ٥ر٣٠) الواقع في ٨–١٢–١٩٧٧ م الموافق ٢٧–١٢–١٣٩٧ هـ مهرجان خطابي كبير في صالة نقابة المعلمين في مدينة حماه ، قام بـه المركز الثقافي العربي في حماه بالتعاون مع نقابـة المعلمين لتكريم المربي الكبير الشاعر الاستاذ عمر يحيى الذي قضى قرابة ستين عامـا في التعليم على جميـع مستويـات المـدارس والمعاهـد والكليـات التربويـة والتعليميـة .. وكان مديرا للتربية في حمـاه .. كمـا تخرج على يديه آلاف الطلبة الذين بلغوا مستويات عالية في مختلف ميادين الحياة ..

وقد حضر المهرجان السيد الدكتور شاكر الفحام وزير التربية في الجمهورية العربية السورية وقدم كأس التربية الى المحتفى به ، كما قدم السيد الاستاذ منير بريخان ، درعا تذكاريا بهذه المناسبة الى الشاعر عمـر وقدم مدير التربية لمحافظة حماه «الاستاذ محمد سعيد القلفة » درع الطلائع وقدمت نقابة المعلمين ومديريـة التربية باقات من الورد والزنبق ..

وكذلك حضر المهرجان أسرة دار الثقافة في دمشق (بمجلتيها الاسبوعية والشهرية) المؤلفة من الاستاذ مدحت عكاش صاحب الـدار ورئيس التحرير – واسماعيـل عامـود وعلي عيد حسـن والاخ الاستاذ علي المصـري وذلك لتهيئة هذا العدد الممتاز الخـاص بالشاعر المربي عمر يحيى .

كما حضـر المهرجان جمع غفير مـن معلمي ومثقفي ومعلمات وسيدات المدينة ولفيف من جمهورها الشعبي والقيادي والرسمي ..

هذا وقد تكلم في هذا المهرجان الدكاترة والاساتذة والشعراء السادة : عبد الرزاق الاصفر (مـدير المركز الثقافي العربي في حماه) وليد قنباز ، سعيد قندقجي، عدنان قيطاز ، سهيل عثمان ، هاشم صيادي (عـن مدينة حماه) نذير الحسامي (عن مدينة حمص) عمـر الدقاق (عميد كلية الآداب في حلب) محمود فاخوري (عن جامعة حلب) عدنان مردم بك (عن مدينة دمشق) سليمان العيسى (عن لواء اسكندرون السليب – اذ أن الشاعر عمر يحيى درّس في أنطاكية قبل سلخ اللواء) الذي لم يحضر المهرجان لظروف، قاهرة بل أرسل برقية حب شعرية منشورة في الصفحة (٥٠) من هذا العدد ثم ألقى الشاعر المحتفى به قصيدة رائعة من شعره ..

اندريه مالرو

الكاتب الكبير ، اندريه مالرو الذي لا تزال امته تكرمه ..

اطلق اسمه على مكتبـة باريسية عامة ، ومع حفلـة التدشين كان افتتاح معرض كبير لمؤلفات مالرو تكريما لذكراه .

واخر كتبه – الرجل العارض والادب – الذي كان مالرو ينقحه عشية وفاته ولقد قال – هـذا اخر كتبي – وخط فيه وصيته الكاملة ضد الموت .

اما هو لم يمت طالما يحيا كل يوم في احتفاء جديد .

العادات والتقاليد اللبنانية

موسوعة ضخمة في جزئـين للعالم خاطر وهو موضوع ارتبط في صورة رئيسية بكتابات الكاتب المتعددة حتى انه يعتبر اكثـر المراجع علمية في هذا المضمار

الموسوعة تراث ارض وشعب شامل لعادات وتقاليد جميـع اللبنانيين الى اي مذهب ينتمون .

بول فاليري في روسيا

ظهرت منذ ايام الطبعة الاولى لدراسة عن بول فاليري وضعها فاديم كوزدفوي درس فيها شعر فاليري وحياته .

استقبلت الصحافة الروسيـة الكتاب بحماسة كبيرة .

لكن امرين عجيبين يواكبـان هذا النجاح العظيم .

أولهما ان السلطات السوفييتية لا تزال مانعة المؤلف ٤٠ سنة من الذهاب الى فرنسا .

وثانيهما : ان الكتاب الذي طبع على ٢٥ الف نسخة وبيع اولا في المكتبات المخصصة للاجانب فقد من المكتبات في صورة مفاجئة .

علم النفس التربوي في قاموس اصدر الدكتور فريد نجار مع

مجموعة من الاختصاصيـين عام ١٩٦٠ قاموسا قيما في علـم

وازاء ما لاقاه هذا العلم من تطورات في السنوات الاخيـرة عكف الدكتور نجار على استكمال قاموسه ليواكب مستحدثات علـم النفس الحديث .

القاموس يصدر في الاشهـر القليلة القادمة .